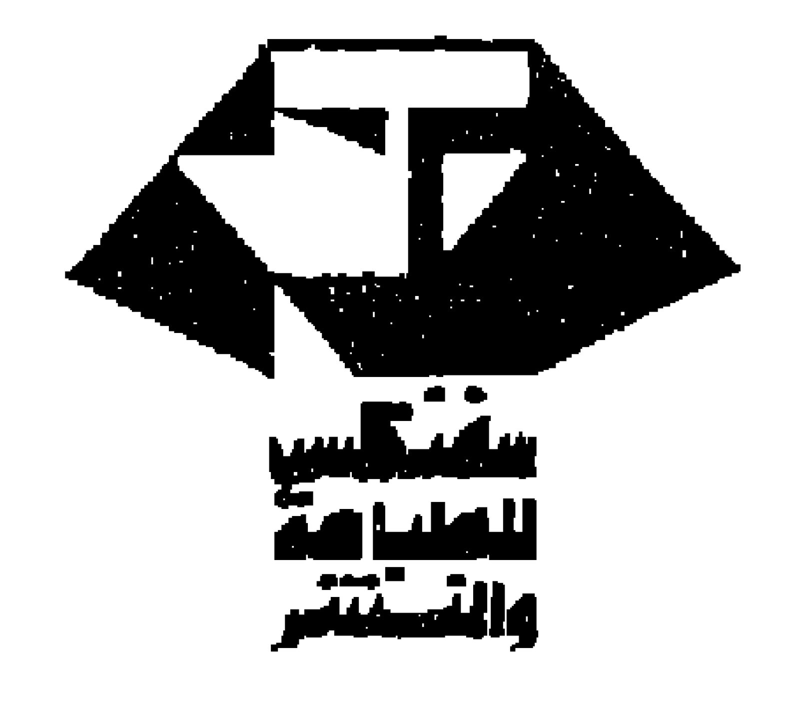

عمائم وخناجر
عن كارثة التطرف في مصر
إبراهيم عيسى
سفنكس للطباعة والنشر

عمائم وخناجر

إبراهيم عيسى



تصميم الغلاف الفنان

عبد العال

الاشراف الفنى

سمير هدية

الطبعة الأولى مايو ١٩٩٣



دار سفنكس

للطباعة والنشر والتوزيع

٧٦٠٢٨٥ - ٧٦٥٧٤٢ - ٣٩٢٨٥٦٩

□ إهــداء □

إلى مصر التى تغيرت كثيراً وجداً

إبراهيم

أبريل ٩٣

دعـــوة

هذه الدار

هى دار نشر حرة تعتبر ملتقى لكافة الكتاب المصريين والعرب من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية والقومية .

وهى تدعوهم جميعا لكى تنشر آرائهم وأفكارهم وميولهم واتجاهاتهم الفكرية المتباينة دون حظر أو إضافة أو تعقيب .

وهذه الدار مستقلة تماما لا يقودها تيار محدد وإنما يحدوها الأمل فى أن تكون مركز إشعاع فكرى مستنير ومؤثر لخدمة وطننا وعالمنا العربى الحبيب .

« الناشر »

كلمة الناشر

هذا كتاب مكروه . . لكنه جائز شرعا

مكروه لأنه يدخل مناطق محرمة ولكنه لا يخرج منها . . يغوص فى بحار مائجة وهائجة ولا يصعد كى يشم هواء ثم يعود لو أراد . .

هذا كتاب من سيكرهه . . سيلعنه ويشتمه ويقضى مضجعه وقد يُلقى به من النافذة . . لكن من سيحبه . . سيسكت . . سيسكت تماما ولا يتكلم ! !

من مقدمة الكاتب

الفهرس

كأنها المقدمة

« إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت »

البقرة – آية ٢٥٨

هذا كتاب مكروه .. لكنه جائز شرعاً .

مكروه لأنه يدخل مناطق محرمة ولكنه لايخرج منها .. يغوص فى بحار مائجة وهائجة ولايصعد كى يشم هواء ثم يعود لو أراد .

هذا كتاب من سيكرهه .. سيلعنه ويشتمه ويقض مضجعه وقد يلقى به من النافذة .. لكن من سيحبه . سيسكت .. سيسكت تماماً ولايتكلم !!

غريبة أليس كذلك .. ؟!

لكننا فى مصر وكل ماهو غريب .. طبيعى .. وكلاهما مضحك .

بعد مقتل المفكر العلمانى د. فرج فودة لم يعد التطرف مشكلة إطلاقاً .. لم تعد الدماء المسكوبة برصاص المتطرفين هى الأمر المزعج المؤرق .

ليس رصاص المتطرفين هو المشكلة .

المشكلة – والمأساة – فى جبن القتلى !!

لقد انتابت الحياة السياسية والفكرية عقب مقتل فرج فودة حالة سكوت وصمت يشبه الخرس الإرادى .

هل هو الجبن ؟

هل الخوف – مثلاً .. ؟

لانريد أن نظلم أحداً ..

لكننا أيضاً نريد أن نعدل ..

والعدل أساس الملك ..

والملك لله .. وليس للأمراء ..

لا أمراء السلطة ..

ولا أمراء الجماعات الإسلامية ..

□ □ □ □

كنت أحياناً أشعر - ولازلت - أن أحداً لايهتم بخطر التطرف الدينى سوانا فى الدور الخامس بمجلة روزاليوسف - حيث أعمل وحيث تقريباً أعيش « حتى الآن على الأقل » .

كنا نشعر - معاً - بخطورة التطرف وتكفير الناس وقتل المفكرين وإظلام المجتمع ودهس التنوير ، وكل الأشياء الجميلة المهددة بأن تبدد والتى يمكن أن نحياها فى عالمنا - غير الجميل .

وكنا - دائماً ودوماً - نتحدث بحماس وغضب وعذاب - وقلق وتوجس وتوتر .. وألم - عن كارثة أن يتمكن المتطرفون من الوصول إلى عقل مصر وطحن قلبها ونزع ضميرها والاستيلاء على مقاليد حكمها .

وكنا نكتب ونعترض .. لكننا بمجرد نزولنا إلى شارع القصر العينى ندرك أن أحداً لايشعر بخطورة التطرف !!

□ □ □ □

وكنت ..

واحداً ممن يكتبون فى روزاليوسف عن التطرف ولشهور طويلة لم أكتب عن شئ غيره ولشهور طويلة كنت أتلقى شتائم أحياناً فى مكالمات هاتفية وخطابات من قراء . ليسوا متطرفين - يدعوننى إلى الهداية والتقوى والعودة للإسلام « كأننى ذهبت منه » .

وأحياناً شرائط كاسيت معبأة بالخطب مرسلة بالبريد وعليها خاتم الشمع الأسود تدعوننى للاستقامة وعدد من الرسائل الشفهية عبر الوسطاء تطالبنى - وربما تهددنى - أن أكف وكل هذا يتم ويجرى فى مساحات هائلة من الضحك .. والنسيان .

لكن ماكان يسمم بدنى فعلاً هو كلام بعض المثقين يطالبوننى أن أخف « وزنى ٧٨ كيلوجراماً » .. وكان يؤلمنى حقاً أن يكون مثقفونا على هذه الدرجة من الهدوء والبرود .. وأحياناً التراجع إزاء واقع أسود يحيط بنا ويهددنا أول مايهدد .

وأدركت ساعتها أن المشكلة ليست فى شجاعة القاتل .. بل فى جبن القتيل !!

- ماهذا الواقع الأسود الذى نعيشه ؟

كل فصول الكتاب تجيب عن هذا السؤال !

لكن فصول الكتاب لاتجيب عن أسئلة أخرى !!

□ □ □ □

لماذا يحصد المتطرفون كل هذا النجاح ؟

لماذا ينجحون .. ؟

دعنا من صناديق الانتخابات فى النقابات واتحادات الجامعة الطلابية .. أنا أتحدث عن نجاحهم مع المواطن المصرى العادى « لا أفضل لفظ البسيط » .

هناك اجابات معلبة جاهزة التحضير ..

منها أن الواقع الاقتصادى والموقف الحكومى المترهل والمتهدل والسقيم والفاشل هو الذى يسمح للفساد أن يتكاثر فى مصر .. ومن ثم فبركان الغضب والنقمة .. وأخيراً التعاطف مع معارضيها ينفجر فى الشارع المصرى .

ولأن الشعب المصرى كما يحب الرجل الجدع فهو يحب الرجل القوى .. فقد أحبوا وتعاطفوا مع المتطرفين على اعتبارهم « السنية وبتوع ربنا » .

والحقيقة أن المتطرفين فهموا المسألة خطأ .. فلم يصبحوا منذ فترة « بتوع ربنا » بل صاروا يتعاملون وكأن « ربنا بتاعهم » .

أى أنهم ظِلُّ الله على الأرض ..

وحزب الله فى الوطن ..

وأحباب الله فى صناديق الاقتراع ..

وشهداء الله فى تقارير منظمات حقوق الانسان ..

وعلى باب الله فى التنصل من شبهات التمويل الخارجى ..

ولهذا ينجح المتطرفون فى اكتساب تعاطف الجماهير ..

والجماهير تعبير ينطبق على مباريات كرة القدم .. ومباريات كرة النار .

وفى مباريات كرة النار ..

لافوز ولاهزيمة ..

لا انتصار ولا انكسار ..

نار فقط ..

□ □ □ □

وهناك من التفسيرات الجاهزة نصف المطهية .. إن الشعب المصرى غير متعصب .. ومن ثم فان التطرف لم ينجح بعد .. وقد لاينجح .. لكن المشكلة أن الشعب المصرى غير متعصب .. وغير مهتم كذلك .

لا نستطيع أن ندعى اهتمام الشعب المصرى « الجماهير » بما يجرى على ساحة العنف .

من المؤكد أن تلقى الناس لكوارث الفتنة الطائفية فى الصعيد لم يكن بالألم المطلوب ولا المشاركة الواجبة ولا الرفض التام .

من المؤكد أن اهتمام الناس بمقتل فرج فودة لم يتعد الاهتمام بأخبار الحوادث ..

منذ مقتل السادات فى حادث المنصة الشهير بدا أن الشعب المصرى يكره العنف فى استطلاعات الرأى المدبرة والوهمية فى الصحف اليومية .. لكنه خارج الصحف لا يكره .. ولا يحب أيضاً .. إنه فقط يتفرج ..

□ □ □ □

أكاد أصل إلى نتيجة أن الشعب المصرى يؤيد المتطرفين .

أكاد أصل لكن لا أكاد أجزم .

فقط هناك دلائل كثيرة متعددة ووفيرة تشير إلى أن الشعب المصرى – كما شعوب وحضارات أخرى – قرر الانتحار .

ووضع قرار الانتحار الجماعى فى جيب جلباب المتطرفين وهو يموت على طريقة الأفيال .. فهى تذهب بصمت وقداسة وكآبة إلى مكان متردٍّ بعيد كى تموت وحدها .

لكن الأفيال لا تسقط فى صمت .

الأفيال تموت بينما يحدث سقوط جثتها دوياً وتفجراً وانفجاراً .

□ □ □ □

هل أنوى أن أدعى البطولة بهذا الكتاب ؟

أبداً ..

أنا لست بطلاً ولا أهوى السجن ولا أحب الاعتقال وأخاف من

الموت وأرتعب من الأماكن المرتفعة ونصل السكاكين ومنظر مقدمة المدفع الرشاش .

ورغم ذلك فأنا لست أخاف أن أعلن رأيي بانفعال وبصدق ويسرعة وبجنون أحياناً وبلا ندم .

هذا كل مافى الأمر .

وهذا كل مافى الكتاب .

فالفصول عبارة عن مناقشة وقراءة تفصيلية ومناظرة مجتهدة للأفكار التى يطرحها المتطرفون فى كتبهم وشرائطهم ومنشوراتهم .. كما أن فصولاً أخرى تقدم الجانب المختلف من التطرف ، تطرف على طريقة اعطاء الانسان حرية اختيار وسيلة قتله .. السكين أم الرصاص أم الحرق أم سم الفئران !!

- ماذا تختار أنت إذن ؟!

سنقف جميعاً أمام الله يوم القيامة نحمل مثقال ذراتنا من الخير والشر .

وسأحمل هذا الكتاب معى .

إبراهيم عيسي

إبريل ١٩٩٣

القاهرة - قويسنا .



عمر عبد الكافى

شيخ النساء والفتنة الطائفية

« وإن تطع أكثر مـن فى الأرض يضلوك عن سـبيل الله إن يتبعـون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون »

سورة الأنعام – ١١٦

د. عمر عبد الكافى الذى ظهر فى التليفزيون .

ليس هو د. عمر عبد الكافى الذى يتحدث فى دروسه بمسجده بالدقى عن النبى « صلى الله عليه وسلم » الذى هدد أعرابياً بفقأ عينيه لأنه نظر لشعره (...) .

وليس هو الذى يحرم سفر طالبة إلى جامعة طنطا بدون محرم وليس هو أيضاً الذى يمنع إلقاء السلام على مسيحى ويحذر المسلمين من تهنئة الأقباط بعيدهم ، ليس هو الذى يعقد ندواته فى بيت الممثلة سهير رمزى (...) .

ليس هو أبداً عمر عبد الكافى الذى يخطب فى آلاف المصلين – ونصفهم نساء بأطفالهن وبناتهن ويؤيد فتوى الإيرانيين بقتل سلمان رشدى .. ويؤكد أنه لو رآه فى الشارع لقتله بنفسه (!!) .

ليس الوجه الطيب المسالم الوقور الذى يتحدث أمام كريمان حمزة عن قصص الأنبياء وقطع النساء لأيديهن أمام سيدنا يوسف .

إنه يتحدث أمام النساء وعن النساء بأمر مختلف و ..... هذا هو وجهه الآخر .. الحقيقى !!

عمر عبد الكافى نجم جديد فى عالم الشيوخ ، وكأى نجم صاعد جديد يحمل اختلافه معه وتمايزه على كتفه .

فهو شيخ حاصل على الدكتوراه « ليس فى الفقه ولا السنة » ويعمل بأكاديمية البحث العلمى ، وهو ليس ضريراً كالشيخ كشك وليس مسناً كالشعراوى وليس اسكندرانياً مثل الشيخ ياسين رشدى .. إنه صورة جديدة من الشيوخ شباب السن والنظارة الأنيقة والبدلة برابطة العنق والعيون « المكحلة » .

رغم عمره القصير فى النجومية الدينية إلا أنه صاحب ٩٠ شريطاً « الشريط ٩٠ دقيقة » منها ٣٥ شريطاً فقط عن اليوم الآخر « بوصف دقيق وصور مستمدة من كتب التراث » .

وشرائطه مطبوعة كالعادة بطريق سرى وغير مجازة من أى جهة لا الأزهر ولاغيره .. وتباع أمام مسجد أسد بن الفرات بالدقى حيث يلقى محاضراته ودروسه ، وأمام مساجد أخرى - ومعها رقم الشريط وعنوانه « وحقوق الطبع لكل مسلم » .

وينتمى عمر عبد الكافى بأدائه فى المحاضرات والدروس إلى مدرسة الشعراوى فى التنغيم الصوتى . والأداء التمثيلى التعبيرى وإشراك الناس فى الحوار والأمثلة المبسطة والحكايات العائلية والشعبية واستخدام العامية بافراط .. لكنه يختلف عن الشعراوى فى أكثر من أمر

- منها أنه لايعطي أهمية واسعة للغة أو شرحها أو التعمق في مفرداتها والتوقف عند ألفاظها مما يقربه أكثر من البسطاء ، كما أنه يتميز بعنف وحدة في مخاطبة الناس تسمح له أحياناً بالزعيق في أحد الجالسين أمامه حيث يلتفت لأمر ماخلفه فيصرخ فيه « تبص على إيه ورا .. أنا باقولك حديث قدسي وانت بتبص لي على النور » أو يزعق في بعض الذين تسرعوا بالوقوف قبل ختام درسه فيقول « مش عارفين تستنوا شوية .. اقعدوا » .. ثم يقول أحياناً « بلاش لماضة وجدل » أو « عايز تسمع الفتوى ولاتجادل احنا مش فاضيين لك » .

ورغم هذا فالرجل يحظى باقبال واسع متكاثر ، يؤم مسجده ودروسه الآلاف فضلاً عن أن نصفهم من النساء اللاتي يكتظ بهن المسجد ، ويخصص لهن ندواته في نواد رياضية أهمها نادي الصيد حيث سمح له منذ فترة في الانطلاق من هذا النادي إلى آذان وأسماع مئات النساء ، بالاضافة إلى شهرته وسمعته التي ضربت الآفاق في هذا العالم بعلاقاته بالفنانات المحجبات ودروسه التي يلقيها عليهن ، وأحياناً مايعقد هذه الدروس - في منزل الممثلة سهير رمزي في حضورهن ، ونساء أخريات ، وعلى قدر مايغلظ عبد الكافي من التشدد على النساء والتضييق على كافة حرياتهن ، بل والوصول في بعض الأحوال إلى حالة تحقير بليغ للمرأة ، على قدر ماتتهافت عليه آذان وعقول النساء بما يسمح للبعض « وربما أنا منهم » بالاستناد إلى أسباب نفسية معقدة لتفسير هذا الاقبال الأنثوي على شيخ كل سعيه مكرس إلى إعادة المرأة

إلى البيت وشق عصا الوحدة الوطنية بفتاوى هائلة تقطع بحدوث فتنة طائفية ، بل بتهيئة الناس عبر آلاف الكلمات ومئات الخطب والشرائط إلى الفرقة بين الشعب الواحد إلى مسلم ومسيحى لا يستحق الأخير إلقاء السلام !

ويبدو أن عمر عبد الكافى فى رحلته المنتظمة لهذا الصعود نحو الشهرة يدرك تماماً أهمية التليفزيون الذى حصل على شرعيته من خلال برنامج كريمان حمزة فى شهر رمضان عبر ثلاثين حلقة التزم فيها حدود أدب التعامل مع الرقابة التليفزيونية ، لكنه اكتسب مصداقية النجومية التليفزيونية التى ستسمح له عاجلاً أو آجلاً بالوصول إلى تليفزيونات المحطات العربية فضلاً عن خطة مقبلة لشرائط الفيديو ، ويتم هذا فى وقت قاتل حيث غياب عقل التليفزيون المصرى نهائياً - ولكى لا يغضب مسئولوه كثيراً ليكن غياباً جزئياً - بحيث يشكل طابوراً خامساً وربما رابعاً وثالثاً لحمى التطرف الرهيبة فى المجتمع ، والتى ألقت بظلالها الثقيلة - بالإضافة إلى إرهاب القتل والدم - على حادث مدينة قليوب الأخير حيث كانت شرائط الكاسيت المتطرفة « والتى تؤكد بعض مصادرنا أنها كانت للشيخ عمر عبد الكافى » وسيلة اندلاع فتنة فى مدرسة صغيرة بعد الضغط على زر كاسيت ليصعد صوت شيخ بين كل فقرة وأخرى يطعن المجتمع بتطرفه وتشدده وغلظته ويمد سكينه فى لحم العلاقة بين المسلمين والمسيحيين .

وعند هذه الأخيرة نقف ونسمع ماذا يقول عمر عبد الكافى عنها فى أحد شرائطه « مازلت أقول أنها متوافرة وتباع أمام المساجد وفى المدارس مؤخراً !! » .

ونفتح الشريط . .

– « هناك سؤال يقول .. جيراننا وزمايلنا فى الشغل مسيحيين نصارى تجيلهم أعياد نروح نهنيهم ، كل سنة وأنت طيب يابطرس يااسحاق ياوليم ينفع الكلام ده .. الإسلام يقولك ماينفعش ، ليه ، عندهم عيد اسمه عيد القيامة – اللى قام فيه السيد المسيح ، المسيح نام ثلاثة أيام وقام ، لما قام بأه عشان يحكم العالم تانى ، أمال العالم كان ماشى إزاى فى الثلاثة أيام اللى فاتوا ، ماعلينا ، مش عايزين نخش فى نقاش مش وقته ، لما تروح تقوله ، فى عيد القيامة كل سنة وانت طيب ، يبقى أنت أقريت من نفسك إن فيه حاجة اسمها قيامة المسيح ، صح ولا لأ .. هذا إقرار ضمنى من جواك إن فيه للمسيح قيامة وإنه قام وإنه مات وصحى وإنه بعث ليحكم العالم لأنه الرب أو ابن الله وهذا الكلام كله حرام ، مينفعش إنك تروح للمسيحى وتقوله كل سنة وانت طيب ، لكن لو شفته فى السكة قل له إزيك ، يقولك كده أنا زعلان منك .

– ليه خير يابطرس زعلان منى ليه ؟

– مجتش تعيد علىّ .

- هو انتم كان عندكم عيد .

يعنى توهه متقولوش كل سنة وانت طيب ، العب معاه ، المهم منقرش إنه عنده عيد !!

نقفل الشريط مؤقتاً ونسأل :

- هل تريدون منى أى تعليق ؟! .. إن عمر عبد الكافى يحفر فى آذان الناس وعقولهم هذا الكلام وكأنه الدين وكأن وقفته أمام منبر وميكرفون ومئات الرجال والنساء تسمح له - حتى لو سمحت كريمان حمزة - بأن يطلب من المسلم أن يكذب ويلاعب المسيحى حتى لايقول له كل سنة وانت طيب .. إن عبد الكافى لا يسكب برميل زيت فى جوف الأمة لتشتعل بل إنه يعود بنا إلى أكثر أزمنة التاريخ انهياراً حين كان المسيحيون يضطهدون بوضع الصلبان الخشبية على أعناقهم فى الطرقات تحت شعار الدين وبأوامر حاكم مجنون وفتاوى متنطعة !!

نفتح الشريط « أى شريط » ونسمع .

- « هناك واحد بيسألنى أنت مرة بتقولنا أحسن إلى الذمى واليهودى ومرة تقولنا كده .. آه .. أحسن إليه يعنى لا تشتمه ولا تذمه ولا تضربه بدون حق (...) ولا تأخذ ماله لو اشتغلت عنده ، لكن متشاركوش فى الأفراح بتاعته ، المصيبة ييجى يعمل فرح لابنه فى الكنيسة وواحد ييجى يسألك والله ياسيدنا الشيخ جارك وحبيبنا وواقف

جنبنا فى المآتم والأفراح وكلام زى كده ، أروح له الكنيسة فى الفرح ، نقول له لأ ، يقاطعنا بس يا سيدنا الشيخ !! نقول لأ خلاص .. أنت بتسأل ولابتجادل ، إذا كنت بتسأل اديناك الفتوى ، إذا كنت عايز تجادل مش فاضيين » .

ويدعى د. عمر عبد الكافى أنه يحسن إلى الذمى .. وهل - يادكتورنا الفاضل - ألا تشتم أو تذم أو تضرب أو تسرق شخصاً ، إحسان إليه ، إنه أبسط حقوقه بل إن المساس بها جريمة لاتغتفر وذنب لا يسكت عليه دين ولا قانون .. إنه القاعدة الطبيعية التى لا تحتاج من سعادتك أن تعاير بها الناس فقط لأنك لا تشتمه ولا تضربه ، ياسلام وهل المفروض أن تشتمه وتضربه كمان ؟! .. إن الكارثة الحقيقية ألا تذهب إليه فى فرحه بالكنيسة ، ولا ترد له مواقفه المساندة لك فى الأفراح والمآتم .

إنك تحسن إلى الذمى .. حسناً ياسيدنا .. لكن ماذا تسمى هذا المقطع من شريطك .. نفتحه ونسمعه « وكل الاقتباسات بالنص الحرفى العامى » .

- « هل أبدأ أنا المسيحى بالسلام .. واحد مسيحى جاى على هل أبدأ بالسلام . لا متبدأش بالسلام .. طيب لو سلمت عليه أقول السلام عليكم ، لأ .. قول صباح الخير .. مساء الخير .. إزيك ياخواجة .. شوف الجو برد إزاى .. مالك وشك أصفر كده ياعكر (...) ! » .

هل تريدون المزيد من شيخ التليفزيون الدكتور الوسيم إمام النساء وشيخ الفنانات ومحاضر سهير رمزى (..) .. هل تريدون المزيد من ذبح الدين على يد الدكاترة الشيوخ ؟

- كيف يقال هذا الكلام .. سؤال مهم !

- لكن كيف ينتشر ويذاع .. سؤال أهم !

- لكن كيف يأخذ ختم الإعلام الرسمي والتليفزيون المصرى .. سؤال مهم وأهم ؟

والكارثة كيف يصدقه الناس ويتناقلونه ويلفون به على البيوت ويطعمون به أطفالهم الذين يمسكون بأيدى أمهاتهم فى المسجد وتحت رعايتهن في البيت .

كيف يذهب الأطفال بهذه الشرائط إلى المدرسة ؟

وتسألون لماذا ينجح الإرهابيون ؟!

أقول لكم كيف ينجحون .. اسمعوا هذا المقطع من الشريط وتعرفون وهانحن نضغط الزر ونفتحه .

- « لما إيران حلت دم سلمان رشدى .. كان صح ولا غلط ، كان صح ، ولما سئلت فى كندا - كنت هناك من سنتين - سألونى فى فتوى الإيرانيين بقتل سلمان رشدى .. قلت - أنا لو شفت سلمان رشدى ح اقتله .. وحكاية الوزير بتاعنا لما راح وضحك عليه الراجل وانطلت على

الوزير ، كان يجب يبقى أنصح من كده لأنه راجل مرتد كافر » .

أما الوزير فهو د. محمد على محجوب وزير الأوقاف المبتسم دائماً والمسافر دوماً فى قوافل الهداية (..) والتى لم نحظ حتى الآن بشرائط كاسيت منها (..) .

أما عمر عبد الكافى فسيقتل سلمان رشدى إذا شاهده .

شافاه وعافاه وقوى بدنه وأبرى حد سكينه (..)

وهذه المرة .. هى المرأة .. صاحبة الفضل الأساسى فى شهرة د. عمر عبد الكافى ونجوميته .. وسنترك عشرات الآراء والفتاوى والأفكار التى يرددها مثل أى شاب منتم للجماعات المتطرفة .

ومثل عشرات الشرائط والخطب التى تنهال علينا عن نقاب المرأة وعملها وعورتها وتتعامل معها على أنها شيطان يمشى على الأرض ، فقد تكررت هذه الفتاوى وتكرر ردنا عليها لكنهم لم يملوا ، ومن ثم نحاول ألا نمل ، لكننا هنا نفتش فى قضية جديدة طرحها دكتورنا الجديد عمر عبد الكافى .. لنسمع أولاً .

- « الحياة والرتم السريع بتاعها جعل بنتك تروح لجامعة طنطا ومراتك تدرس فى جامعة أسيوط وأختك رايحه مندوبة عن الوزارة فى بنى سويف ومسافرة مع الوفد اللى رايح أسوان .. والسؤال هل يباح للست أن تسافر من هنا لغاية طنطا من غير محرم ؟ لأ ، فى حالة واحدة

بس يسمح بالصحبة الآمنة إذا راحت سافرت فريضة الحج الأولى ، الركن الأساسى ، وهنا رأى آخر كمان إنه يسقط عنها الركن طالما ليس لديها محرم ، إذن البنت اللى بتسافر كل يوم والست اللى بتسافر كل يوم بدون محرم مفيش الكلام ده ، لا يجوز لامرأة أن تسافر ٨٠ كيلومتراً إلا مع محرم وإلا لعنتها الملائكة حتى تعود وصارت آثمة .. مفيش حاجة اسمها مراتى فى جامعة بنها أو السويس ومن أقر بهذا فقد رد أمراً على الله عز وجل » .

وهكذا لتتعطل الحياة فى مصر .. ولتكون كل طالبة فى المدن الجامعية ملعونة من الملائكة وآثمة ، ورد أهلها الملايين فى مصر طيلة هذه السنين أمراً على الله عز وجل .. وهكذا فلتعد كل النساء اللاتى سافرن إلى الخليج سعياً وراء الرزق ، وهكذا فلتتوقف أى زوجة عن السفر إلى طنطا أو السويس لأنها آثمة ملعونة .. !!

□ □ □ □

شريط كاسيت مسجل عليه خطاب سياسى للواء زكى بدر وزير الداخلية السابق كان وراء إقالته من منصبه .

والمشكلة إننا لا نشترى هذه الشرائط من الهند .

يمكن لأى مواطن – وخاصة لوكان عضواً بمجلس الشورى – أن يشترى شريط كاسيت لشيخ من المتطرفين بثلاثة جنيهات من أمام مسجد بالقاهرة أو خارجها .

ويمكنه طبعاً – شراء شرائط د. عبد الكافي .

الشريط الذى تعرضنا له فى السطور السابقة ليس سراً ولا سحراً .. إن مجموعة من الأفراد الذى يتعيشون الآن على متابعة خطب عبد الكافي وتسجيلها بانتظام وطبعها وتوزيعها على المساجد والباعة وتمريرها على تجمعات المتطرفين ومواقف السيارات الأجرة ومحطات الأتوبيس وقطارات الأرياف وتباع بالآلاف تصل لكل خرم فى مصر وقد تصل إلي مكتب وزير الداخلية ، وبواب عمارة وزير الإعلام !!

وبين أكثر من ٩٠ شريطاً للدكتور عمر عبد الكافى كان هذا الشريط الذى يحمل رقم ٣٤ فى سلسلة شرائط تحت اسم « الدار الآخرة » تباع فى غلاف ردئ الطباعة مكتوب عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ثم عبارة « حقوق الطبع لكل مسلم » .. « وتهادوا تحابوا » .. ويبدأ د. عبد الكافى – نجم التطرف المبتسم – بالقول « كنت أود أن أوجز حلقات الدار الآخرة « ٣٣ حلقة » فى هذا الدرس ، وفي الدرس القادم إن شاء الله ، لكن عندنا أسئلة مهمة جداً من حضراتكم ومن الأخوات الفضليات رائدات المسجد إن شاء الله سوف نجيب عن بعض الأسئلة في هذا الدرس .. والأسئلة دى مفيدة جداً لأنها تخص جميع نواحي الحياة .. فكلما وضح لنا سادتنا العلماء أنه يؤجر في الثواب أربعة : السائل والمسئول والمستمع والمحب ، كل دول يأخذوا ثواباً .. ولعل الأسئلة أو الإجابات يعني ، تنتشر كما انتشرت حلقات

الدار الآخرة اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ماجهلنا وذكرنا مانسينا »

إذن د. عمر عبد الكافي يوضح منذ اللحظة الأولى من الشريط أن الأسئلة مفيدة جداً .. والإجابات تستحق الثواب .. ويتمنى أن تنتشر إجاباتة كما انتشرت حلقاته السابقة ، وهو اعتراف بقضية الشرائط وطبعها وتوزيعها .. وتعبير واضح عن الرضا على ذلك .. وحرصه على أن تنتشر بين الناس ويسمعوها .. ويستجيبوا لها .. ويوافقوا عليها ويثابوا عنها .

هذه الخطب التي تحمل تطرفاً سافراً في الدين وتهجماً إرهابياً على الشعب المصرى كله

- لانفرق بين مسلم ومسيحى فى كافة وكامل حقوق المواطنة .. وبالمناسبة أنا مسلم كى يصحح البعض معلوماته .

هذه الشرائط التى يطبعها ويوزعها د. عبد الكافى ومريدوه والمستفيدون من تجارتها ورواجها سواء مالياً عبر الثراء والمكسب السريع الثقيل أو فكرياً وإرهابياً بنشر هذه الآراء والفتاوى لنخر شجرة الأمة والطعن في لحمها وتهيئتها لحروب أهلية تبدأ هكذا دوماً بالسكوت على الكوارث وادعاء التدين والتفقه ، إن د. عبد الكافي يستغل بعضاً من بلاغته وقدراته الخطابية واستناده إلى حفظه لوقائع تاريخ إسلامى وقصص ديني وأفكار متعارف عليها متفق حولها كى يدس السم داخل كل ذلك بأفكار وفتاوى تنهش الوطن بدءاً من جعل كل امرأة آثمة معتدية

على الدين إذا سافرت لعمل ، وانتهاء بأن التدخين حرام ، وأن الشركة الشرقية للدخان حرام .. وأن ظهور كعب المرأة زنا إلى دعوة لقتل كل من تراه إيران خارجاً عن الدين مرتداً عن الإسلام !!

كل هذا يغلفه عبد الكافى بعباءة فاخرة الثياب .

وكأن من يقول حكايات عن غزوة بدر أو عذاب القبر مسموح له بأن يصبح - على حس هذه القصص - متطرفاً إرهابياً !

لقد كانت أول الأسئلة التى يعلنها فى الشريط هو « الأخوة بيقولوا .. إحنا ساكنين فى مسجد ، والإمام اللى بيصلوا وراءه مدمن تدخين يصلوا وراه أم لا يصلوا وراه » .. ويصل فى إجابته إلى أن « التدخين حرام مفيش نقاش .. الشركة الشرقية للدخان حرام .. السجائر فيها خمرة » .

ومع ذلك فلو توقف عند السجائر لهانت .

ولن نبذل جهداً كبيراً فى التعليق على هذا الانحراف الفكرى والتطرف الدينى .. ولن نحاول الإثبات لأحد أن هذا خطر إرهابى مدمر وإسراع بالفتنة - التى هى أشد من القتل - فى جسد المجتمع ، فالذى لايقتنع بأن السخرية من المسيحى والطعن فيه وعدم الذهاب لفرحه وعدم المشاركة فى مأتمه وعدم إلقاء السلام عليه .. المقتنع بأن هذا ليس تطرفاً وإرهاباً وغطاء فكرياً وفقهياً يسمح بقتل المسيحيين فى صنبو وفى غير صنبو ، المقتنع بأن هذا ليس تطرفاً عليه أن يدع هذه السطور

فوراً ولايكملها راحة له من مغبة وعناء استفزاز مشاعره الرقيقة وأحاسيسه الدينية .

ما الاختلاف بين هذا الكلام وبين كلام د. عمر عبد الرحمن أو أى متطرف آخر ؟! إن هناك عشرات الشرائط للمتطرفين تحمل عناوين من قبيل « اعترافات قسيس » .. « مناظرة بين عالم مسلم وقسيس نصرانى » .. « كنت نصرانياً » .

واشتروا أو تعالوا خذوها منى .

المشكلة أن عمر عبد الكافي أخطر حيث يقدمونه باعتباره داعية صالحاً صادقاً طيباً يصلى وراءه وزير الداخلية ويسمح له وزير الإعلام بـ ٣٠ حلقة فى التليفزيون .. ولو كان عاطف صدقى نفسه - أو غيره - يصلى وراء عبد الكافى فاننا لن نتنازل عن أن الرجل متطرف يدمر فينا بابتسامة عذبة ولحية منسقة وآلاف من النساء يدرن حوله فى الجوامع والنوادى .

مع أن هناك كائناً غريباً اسمه مباحث المصنفات الفنية يملك قوات وسيارات ورجالاً وحراساً .. لكن أحداً لايجرؤ أن يقترب من أماكن هذه الشرائط ليصادرها ويمنعها ، رغم أن عشرين عاماً من التطرف والخطب والشرائط أحدثت فى المجتمع المصرى تأثيراً مفزعاً .. ملايين - الآن - يصدقون عمر عبد الكافى ويرون أنه على حق فى كلامه عن المسيحيين .. بل إن عشرات المكالمات التليفونية التى تلقيتها عقب مقال

الأسبوع الماضي تؤكد بما لايدع مجالاً للشك فضلاً عن عبد الكافي - أن مصر قد تم اختراق شعبها كلية وأن الخطر قد دخل العروق والعقول .. وأن كارثة محدقة بنا جميعاً أوشكت على الحدوث ، والكل ساكت صامت .. بدلاً من حملات قوية محكمة على أماكن بيع الشرائط ودعوة واضحة للالتزام بالشرعية والقانون أن يلجأ أى رجل يريد إصدار شريط ديني إلى الأزهر والرقابة على المصنفات (نحاسبهما إذا أخطأ أحدهما أو كلاهما) فالشرائط الآن أخطر من العبوات الناسفة والحكومة - مرة أخرى - ليست صامتة فقط بل خرساء تماماً تجاه مايحدث في المساجد والشرائط والأندية .. وإما أنها « طارشة » لا تسمع أو « عمياء » لا ترى أو أنها - بصراحة - متواطئة وراضية وسعيدة من شرطة المصنفات حتى برامج التليفزيون وليقولوا لنا - إذا كانوا يملكون الشجاعة - حتى نتصدى لهم ونهاجمهم أكثر وكى نسمع الصم الدعاء .

ومع ذلك أنا مع د. عمر عبد الكافى .

فالرجل يقول - ضمن حملته الإعلامية لتلميع نفسه وتقديم اسمه نجماً جديداً فى عالم الشيوخ الإعلاميين .. يقول لمجلة الشباب العدد رقم ١٨٨ فى مارس ١٩٩٣ .. إن عالج مشكلة التشدد (فهو لايسميه تطرفاً) يتمثل فى (بالحرف الواحد كالعادة) :

- أولاً : إلغاء الزوايا وقد طلبنا من وزراء الأوقاف المتعاقبين

إلغاءها وإنشاء عدد معقول من المساجد الجامعة الكبيرة فى كل منطقة وتعيين إمام مستنير ليلتف حوله الناس ويسمعوا منه حقائق الدين دون مغالاة أو تشدد تفادياً للبلايا التى تحدث داخل هذه الزوايا .

والحقيقة أنا لا أريد سوى أن يطبق على الدكتور عبد الكافى القانون الذى سنه هو بنفسه وبحرفه .. نعم أؤيده تماماً فى إلغاء آلاف الزوايا والمساجد الصغيرة التى بناها المتطرفون كخلايا لتغذية الجهل بالدين والتطرف الإرهابى .. هذه المساجد التى جعلت من البوابين أئمة مساجد ومن الخفراء حراساً للعقيدة ومن السباكين والسمكرية خطباء ودعاة ووعاظاً .. ودفعت لنا بظاهرة الإسلام الميكرفونى التى تملأ مصر وتمنعنا من أن ننطق بالمعارضة لها أو التصدى لبلاويها (كما يقول عبد الكافى) تحت حجة أنها بيوت الله ، ورسول الله نفسه صلى الله عليه وسلم أمر بعد غزوة تبوك مالك بن الدغشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى (قاتل حمزة) فقال لهم : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله (مسجد ضرار) فأهدموه وأحرقوه .. ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة .

إلى هذا الحد من الوضوح والقوة ورضوخاً وسمعاً وطاعة للآية القرآنية التى جاءت فى سورة قرآنية « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » .

إن الآية تضع ضمن أسباب هدم هذا المسجد إحداث الفرقة بين

المؤمنين .. وأظن أنه لاشئ تفعله مساجد ضرار الجديدة إلا إحداث الفرقة بين المؤمنين .

نحن مع د. عبد الكافى لإلغاء هذه الزوايا .. ونحن أيضاً معه فى أن يكون أئمة المساجد مستنيرين دون مغالاة أو تشدد ، ولأن د. عمر عبد الكافى - كماهو واضح فى الشرائط - متطرف متشدد مغال فنحن نطالب بتوقفه أو توقيفه عن إمامة المسجد (أليس هو الذى طلب بنفسه وشرع بذاته) .

منذ هذه الكتابة عن عمر عبد الكافى والتى نشرت فى حملة واسعة مجلة روزاليوسف ، صارت مصر لدى غير مصر التى كنت أعرفها « هل كنت أعرفها أصلاً ؟ » .

لم تكن الدهشة فى هذه الجماهيرية الواسعة والخطيرة التى اكتسبها - أو صنعها - عبد الكافى لنفسه ، لكن الدهشة الحقيقية - والمؤلمة معاً - فى الأسس التى اكتسب بها هذه الجماهيرية .. إن رجلاً هذا قوامه الفكرى ومحصلته التراثية المتطرفة وبكل مايطرحه من أفكار رجعية سلفية سواء تجاه المرأة أو المسيحيين أو الفن ، يحظى بكل هذا الإيمان والتأييد لهو دليل واضح على حالة الانتحار الجماعى الذى أرادتها مصر لنفسها .

نفهم أن يضحك رجل بقدراته الخطابية والجماهيرية على الملايين لكن أن يندفع هؤلاء الملايين لتحويله من رجل يخطئ ويصيب إلى مقدس

مرفوع فوق الأعناق محاط بالرعاية والرعية والاتباع يقفون ضد أى محاولة لمناقشته أو لمعارضته .. ويسمحون لعقولهم أن تغلق ولعيونهم أن تعمى ولآذانهم أن تصم عن انحرافات فكرية وسياسية فهذا أمر يسمح لنا باعداة النظر فى تلك العبارات المموجة التى تلوكها الألسنة فى المواسم الوطنية حول سماحة مصر والشعب المصرى .

فضلاً عن قناعة أخرى - باتت راسخة - فى تحالف واضح ضمنى وعلنى بين رموز سلطة حاكمة ورموز متطرفين يتغطون بالاعتدال ويتسترون ببعض الجمل التى تمدح الحكام فيتغاضى عنهم الحكام ومحكوموهم .

وإلا كيف نفسر وجود شخص مثل عبد الكافى يصلى وراءه وزير داخلية مثل عبد الحليم موسى « أقيل أثناء حملتى ضد عبد الكافى » بل إن وجود عبد الحليم موسى نفسه على مقعد وزير الداخلية فى مصر كان بياناً لهذه الفوضى التى دعمت الاختلاط والتشابك بين مفهوم التدين كقيمة فضلى ورفيعة لاأحد يفكر إطلاقاً فى مجرد انتقادها وبين تحويل هوية إلى جسر متطرف وجر للإرهاب وستار للانحراف والتجارة الفكرية والسياسية والمالية كذلك .

فقد ألقى وزير الداخلية مثلاً أثناء لقاء جماهيرى بمعرض القاهرة للكتاب (*) خطبة دينية واسعة ممتدة وفخيمة ومؤثرة ومليئة بالأحاديث النبوية والآيات الكريمة والقصص الدينى ، الأمر الذى جعل البعض

ونحن منهم يعتقد أننا نسمع خطبة صلاة الجمعة وأن الرجل ليس وزير الداخلية الذى نعرفه .

لكننا أدركنا - للأسف - وسط المئات من رجال الأمن الموزعين فى القاعة أن هذا هو الوزير نفسه .. وأنه - والحمد لله - قد جعل فى أمتنا وزيراً للداخلية شيخاً وخطيباً - رغم أخطائه الفادحة فى قواعد النحو وأصول اللغة .

لقد بدا أن اللواء عبد الحليم موسى مُصر على اعتماد الصيغة الدينية والأداء الصوتى لشيوخ المساجد فى مؤتمره السياسى ، وقد ورد فى ساعتين - من حواره - عدد من الأحاديث النبوية .. تجاوز عدد المعلومات .. والحقائق .. والآراء الأمنية والسياسية التى كان واجباً أن يقولها أو يفسرها .

لقد أخذ السيد الوزير يردد نفس مانسمعه من بعض شيوخ التطرف وفقهاء التشدد .. وأتحفنا الرجل برأى لغوى وفكرى حاد وقاطع وواضح أن التطرف هو الغلو فى الدين وهذا هو التطرف الصحيح .. ولذلك فهو أول المتطرفين .

ومن حق وزير الداخلية أن يتكلم فى اللغة والدين ، لكن ليس من حقه اعتبار أن ماوصل إليه هو الصحيح ويشرع حتى فى اللغة ويقنن مصطلحات لغوية وفقهية بما يريده ، فالتطرف بمعنى أنه الغلو فى الدين

(*) يناير ١٩٩٣ .

ليس أمراً صحيحاً ولاحميداً ولاحقيقياً ، وأن الإمام ابن تيمية متشدد ومتطرف رغم أنه لم يقتل أحداً أو يرهب شخصاً ولم يطلق رصاصاً على عسكرى أمام سفارة .. أو على جندى فى حراسة .. ورش سكك حديد .

إن الغلو فى الدين الذى هو التطرف من وجهة نظر اللواء عبد الحليم موسى وزير الداخلية « وقتها » ليس صحيحاً بأى حال من الأحوال فهو تنطع وليس تطرفاً وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منه ونبه لخطره وعاقب لاقترافه .

وأن التطرف إذا كان الفكر طاله والعبادات والعقائد إنما يدفع بشكل واضح ومباشر وسافر إلى التعامل بالإرهاب بعد ذلك واستخدام الرصاص المتطرف بعد استعمال الفتاوى المتطرفة .

ثم أليس الوزير معى - وغالباً فانه ليس معى - أن زعامات الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية كلها ترفع نفس الشعار فى التفرقة بين الغلو فى الدين والتشدد فى الفقه من جهة وبين ضرب الرصاص وقتل الناس من جهة أخرى والحقيقة أن صلاح الأمرين واحد وأن هذا ليس تجملاً بقدر ماهو كذب صراح وحرب إعلامية لتغطية الحرب الإرهابية التى يخوضها نفس أصحاب الأفواه المفتوحة بالغلو فى الدين .

وإذا كان الوزير عبد الحليم موسى متديناً عارفاً بالله « وهو كذلك

بالفعل » فلماذا يحاول أن يؤكد لنا ذلك ، نحن نعرفه ونصدقه لكننا نريد أن نتكلم معه كرجل سياسي ووزير أمني وليس كخطيب مسجد « خصوصاً وهو يخطئ في اللغة العربية أكثر من اللازم » ، أما إذا كان الوزير يعلن مثل كثيرين من الوزراء هذا التدين إمعاناً في مواجهة المتطرفين والإرهابيين في محاولة لإثبات أنه رغم تدينه مختلفاً معهم ومنهم وضدهم ، ولكن الحقيقة أن كلامه هذا وكلام غيره فضلاً عن أنه لن يقنع المتطرفين بتدينه ولاتدين حكومته ، فانه سيدفع الناس إلى أن تصدق أن الصراع مع المتطرفين ليس صراعاً بين أفكار ورؤى للدين بقدر ماهو صراع ين متدينين على السلطة وأن الصراع صار بين عبد الحليم موسى الخطيب الذى يتولى وزارة الداخلية والشيخ عمر عبد الكافي الخطيب الذى يريد أن يتولى وزارة الداخلية .

ثم أكد الوزير في الحديث أو الخطبة نفسها أنه ليس علمانياً وهو بالفعل ليس علمانياً ، لأن العلمانية والدولة المدنية تعنى أن يتحدث وزير الداخلية فى السياسة والأمن ، أما من غير العلمانية أن يتحدث وزير الداخلية ووزير التعليم ووزير التجارة ووزير القوى العاملة ووزير القوى غير العاملة فى الدين والتفسير وأن يرتدى الوزراء عمائم الشيوخ .

وهنا بالضبط تبدأ الدولة الدينية .

ولكن المفاجأة ليست فيما يقول وزير الداخلية وقتها .

بل فيما يفعل وزير الأوقاف ؟

فالرجل يقود صراعاً من نفس النوع والطراز ، أن يؤكد ويكرر ويردد نفس مقولات المتطرفين مع ابتسامة ساحرة وشكر للسيد الرئيس .. ويصبح الأمر كله طبيعياً مع ابقائه على عمر عبد الكافى خطيباً فى مسجد يتبع وزارته ، بل وحين تنفجر شظايا حملة روزاليوسف على عبد الكافى فى وجوه الجميع يسرع الوزير نفسه ويقوده إلى البابا شنودة .

ألستم معى فى أن كارثة محدقة بمصر فعلاً .. وأننا جميعاً ننتحر .

وقد رحل وزير الداخلية الذى كان يصلى وراء عمر عبد الكافى .

هل يرحل - إذن - عمر عبد الكافى ؟

* * * * *

دخلت مكتبى شابة طيبة مؤمنة تماماً بشخص - قبل أفكار - عمر عبد الكافى .. كانت تنتحب تقريباً ، وتبكى أحياناً .. ويتحشرج صوتها دائماً .. منفعلة منى ، غاضبة علىّ ، تقول أن اتنين مليون مواطن يدعون علىّ .. لأننى ناقشت وهاجمت د. عمر ؟

وقالت لى أنها مستعدة لو أوقفوا عمر عبد الكافى عن الخطبة فى مسجذ أسد بن الفرات أن تفتح له الفيلا التى تمتلكها وهى تسع لأكثر من ضعف مايسعه المسجد .

ومستعدة لوقال لها عبد الكافى اذبحى أحد أبنائك فداء له لذبحت .. وأضافت الكثير مع البكاء والدموع والإصرار على الدعاء علىّ .

والحقيقة أن أحداً لايهمنى - الآن - سوى هذه الشابة التى نسيت اسمها .. فما حالها وقد اتضح كذب وخوف شيخها .

لقد سمعت بنفسها شريطه وخطبته - التى يحرم فيها السلام على الأقباط ، ويحرم فيها الذهاب لتهنئتهم بالعيد وخصوصاً عيد القيامة ، ويفترى على الله وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويشق عصا الوحدة الوطنية .

وقد صدقته هذه الشابة حتى الإيمان وتساءلت أمامى كيف يكون قدر حبها للنبى صلى الله عليه وسلم إذا كان قدر حبها لعمر عبد الكافى

والآن .. الرجل يكذب ويقول أنه لم يحرم .

ويجبن فيذهب حتى مقر البابا وهو الذى كان يرفض الذهاب للجار المسيحى .. وتنشر صورته مع البابا فى الصحف كلها وتذاع المقابلة فى التليفزيون المصرى فى أهم نشراته الإخبارية .

إنه يستسلم لوزير الأوقاف وغيره ويسلم نفسه للصور حتى تضبطه متلبساً بالتهنئة للأقباط !!

كيف ستراه الآن هذه الشابة ؟

أغلب الظن - وليس كل الظن إثماً - أنها لن تستطيع التخلى عن حبه وتصديقه والإيمان به ، فمن الواضح أن الرجل قد نفذ داخلها إلى حد التقديس .. وستعمى العيون عن النواقص الفادحة فى أفكاره ،

والنفاق البادى فى تصرفاته الأخيرة حتى يظل الرجل على قداسته فى قلب المؤمنات به .

لكن ما الذى أوصل الأمور إلى كل هذا الانحدار الرهيب .. من الذى رفع الرجل – وهو بهذه الصفات والمواقف – إلى هذه الدرجة ؟!

يسأل قارئ من يقف وراء عمر عبد الكافى ؟

وأظن – الآن – أننا نملك الإجابة .. وهذه المرة ليست الشرائط دليلنا .. بل وثائق رسمية وكاملة !

* * * * *

ماذا تريد مباحث أمن الدولة بالضبط ؟

إنها جهاز تابع لوزارة الداخلية ووزارة الداخلية – أظن – تابعة لمصر – ومهمتها حماية أمنها ورعاية مواطنيها ، والتطرف الدينى أهم ماتواجهه وزارة الداخلية ، وبينما تسارع بالرصاص والمدافع الآلية للهجوم على أوكار الإرهابيين .

فإنها من جهة أخرى – كما هو واضح – تنشر وتدعم وتروج بالإرهاب والتطرف الفكرى والدينى .. بل – وياللحسرة – للتفرقة بين أبناء الوطن .. وللفتنة الطائفية .

أيها السادة آن أوان الحقائق .. إن د. عمر عبد الكافى يعمل بموافقة – لا أقول لأمر – من مباحث أمن الدولة .

عمر عبد الكافى تحميه – شخصياً – وزارة الداخلية .

والدليل .. من وزارة الأوقـاف .. المتـهم إذن حكومي .. والدليل حكومي جداً .

د. عمر عبد الكافي يخطب منذ أكثر من عامين في مسجد أسد ابن الفـرات « يتبع الأوقـاف » بدون إذن من الأوقـاف ولاموافقة منها إطلاقاً ، بل بخطاب وترخيص من مباحث أمن الدولة .

هذه الحقيقة يكشفها خطاب رسمي صادر من مكتب رئيس الإدارة المركزية لشئون المساجد وشئون القرآن ورئيسه أحمد البدرى أبو العلا بوزارة الأوقاف للعرض على السيد الأستاذ الوكيل الأول للقطاع الدينى بالوزارة فى مذكرة تحمل رقم « ٣٢١ / م . ١٧ » بتاريخ ١٥ / ٧ / ٩٢ وتطلب المذكرة نفسها إزاحة هذا الشيخ من فوق منبر هذا المسجد

وإليكم الوثيقة بالكامل .

وتفضلتم سيادتكم بالتأشير على شكوى رئيس مجلس إدارة مسجد أسد بن الفرات وأهالى المنطقة بالدقى من خطيب المسجد الدكتور عمر عبد الكافي بما نصه « فضيلة وكيل الوزارة للمساجد تحياتي وللتفضل بالدراسة والعرض بما يتم في ٦ / ٥ / ١٩٩٢ وبالاتصال بالإدارة العامة للمساجد الحكومية أفادت بمذكرتها رقم ١٤٨٠ في ١٣ / ٧ / ١٩٩٢ بأن مسجد أسد بن الفرات مسجد حكومى ومن المساجد الهامة وله رواده ويقع فى منطقة حساسة ، الأمر الذى يتطلب وجود عالم دائم به ليتمكن من ربط الجمهور بالمسجد درساً

وخطبة ، كما تفيد أن الخطيب الحالى لم يرخص له من الوزارة ، وإنما اكتفى فى الترخيص له بخطاب من مباحث أمن الدولة المرفق صورته .

وترى الإدارة العامة للمساجد الحكومية توجيه الخطيب المذكور لمسجد أهلي ، فنرفع هذا لسيادتكم ، رجاء التفضل بالنظر والتوجيه والعرض على السيد الأستاذ الدكتور الوزير للاعتماد فى حالة الموافقة مع وافر التقدير .

الوثيقة تسقط ورقة التوت عن أكثر من كارثة .

فضلاً عن أن عمر عبد الكافي ليس مرخصاً له من الوزارة ، والموافقة - فقط - من المباحث .. فإنها أيضاً تكشف عن أن إدارة المسجد ضد عبد الكافى وترسل بشكواها ضده .

لكن لماذا ؟

لماذا يرفض مجلس إدارة المسجد د. عبد الكافى ؟

الإجابة فى وثيقة أخرى تحمل رقم « ٤٤٧ / م / ٣ » مرسلة بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٩٩٢ من وزارة الأوقاف إلى مدير مباحث الدولة بالجيزة ، فماذا تقول ؟

« بناء على الشكوى الواردة إلينا من السيد رئيس مجلس إدارة مسجد أسد بن الفرات شارع التحرير بالدقى { الجيزة } بخصوص جمع التبرعات بالمسجد المذكور والتى قام بجمعها السيد الدكتور عمر

عبد الكافى خطيب الجمعة مع أدائه درساً أسبوعياً بالمسجد والذى قرر بأن ذلك بتكليف من السيد الأستاذ الدكتور الوزير وشيخ الأزهر ، فهذا مخالف لتعليمات الوزارة وعندما اعترض بعض المصلين قام أتباعه بالاعتداء عليهم فقام رئيس إدارة المسجد بابلاغ شرطة الدقى والتى قامت بالقبض على بعضهم دون البعض .. لذا نرجو من سيادتكم التكرم بعمل اللازم نحو استقرار الأمن بالمسجد لمنع تكرار ماحدث » .

هى فضائح أخرى تكشف عنها - مرة أخرى - وثائق الدولة الراعية للداعية عمر عبد الكافى .

فالرجل يكذب ويدعى أن جمع التبرعات وكانت بالمناسبة باسم ضحايا البوسنة والهرسك وذهبت - بالمناسبة - لنقابة الأطباء وهذا كله مخالف تماماً لكل الأعراف والقوانين ، يدعى أن جمع التبرعات بتكليف ليس من وزير الأوقاف فقط بل من شيخ الأزهر ، وهذا - كما هو واضح ومؤكد - كذب فى كذب .. وكما يكذب فى جمع التبرعات ولجان الزكاة .

كيف يتم جمع هذه التبرعات ؟ .. وأين تذهب ؟ .. وأين هى الداخلية ، ومتى تصحو وزارة الأوقاف ؟

كانت هذه بعض الأسئلة التى وجهها عدد من مريدى المسجد ومجلس إدارته لعبد الكافى وأتباعه ، فما كان من هؤلاء الأتباع إلا الاعتداء على المصلين ، وما كان من الشرطة إلا أن قبضت على البعض .. وتركت البعض .

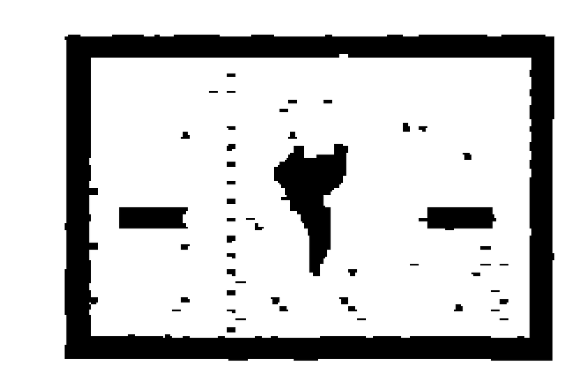
ليقل لنا أحد الآن من وراء عمر عبد الكافى ؟ .. إن حكومتنا الرشيدة تثبت أحياناً أنها لارشيدة ولاتفيدة حتى ؟! فها هى تدعم وتروج للمتطرفين ورموزهم ؟

هاهى تنفخ فى أمثال هؤلاء حتى لايستطيع أحد أن يردهم عن أخطائهم أو يعارض أفكارهم أو يناقش كوارثهم حتى أنهم يدعمون الإرهابيين بلجان وسلطة وندوات إصلاح .

وحين يضبط أحد منهم مثلما ضبط د. عمر عبد الكافى متلبساً بترويج الفتنة والإرهاب وضرب المجتمع المصرى فى قلبه ودفع الملايين للفتنة الطائفية .

عندما يضبط هكذا يسرعون بالذهاب به إلى البابا .

ويامصر لك الله وليس لك أبداً وزير الأوقاف ومباحث أمن الدولة !!



الشعراوى .. المصحف والتليفزيون

« ويستخلف ربى قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً »

هود ٥٧

فى شهر رمضان ، يمكن أن تلتقى بالشيخ الشعراوى ثلاثين مرة فى التليفزيون .

وأضعاف ذلك فى الإذاعة .

وستصافحه فى كل صحيفة ومجلة تصدر على مدى ثلاثين يوماً هى مساحة رمضان فى كل سنة .. رمضان هو موسم الذروة فى شهرة الشيخ الشعراوى ونجوميته !

وهنا .. محاولة لقراءة جديدة فى حياة الشعراوى .

تقف عند المحطات المجهولة وتغوص فى الأسرار البعيدة ..

حارة عبد الله ، حارة فقيرة ضيقة ملتوية تقع فى قرية دقادوس - ميت غمر دقهلية ، وفى هذه الحارة ولد الشيخ أمين اسم الشهرة للشيخ محمد متولى الشعراوى والذى ظل أهل القرية ينادونه به أكثر من خمسين عاماً .

دقادوس فى ١٥ إبريل ١٩١١ - ميلاد الشعراوى - قرية منضبطة المصرية (الحارات الضيقة - الشوارع المتربة - دوار العمدة - الكتاتيب والمساجد المبنية بالطين - الترعة) وبعد مرور ٨١ عاماً على مولد الشعراوى أشياء كثيرة تغيرت فى القرية .. وربما انقلبت .. لكنها جوهر القرية القديمة المشهورة بتجبير العظام وعلاج الكسور وموالد الشيوخ .

نشأ الشعراوى فى تربية دينية ريفية ، لا شئ فيها خارج الإطار

التقليدى – سوى الشعر التقليدى أيضاً – ورغم أن الشعراوى بدأ حياته مثالاً أو مشروع مثال يصنع التماثيل بالطين ولبن الجميز إلا أن الطريق الطبيعي لتربية تلميذ يحفظ القرآن ويحاول دخول الأزهر كان هو الطريق الوحيد المفتوح فى انتظار الشعراوى .. وكان من الجائز جداً أن يصبح الشعراوى مجرد قارئ للقرآن أو كما يقولون « فقى » بعد حفظه القرآن وتعلمه فى معهد ديني بطنطا ، وخاصة أنه كان نجم القرية فى سهرات الريف الليلية حين يتلو القرآن عليهم .. النجومية التى أغرته بأن يبقى فى القرية ويعمل فى الزراعة والفلاحة مع والده « الذى يمتلك قطعة أرض صغيرة » لكن الأخير أصر على أن يواصل الابن مشوار التعليم .

فى هذه الفترة كان الشعراوى قد تزوج وهو بعد لم يتجاوز المرحلة الابتدائية « القديمة » فقد رآه والده فى زيارة للزقازيق حيث يدرس الشعراوى ويعيش ، رآه يساعد بنت الجيران على رفع إناء ماء ، فأصر الوالد على أن يزوج ابنه إحدى قريباته فى القرية .

ثم كان الجامع الأزهر فى الانتظار .. وبعده جامعة الأزهر كلية اللغة العربية ، وقد تخرج فيها الشعراوى عام ١٩٤٠ وهو العام الذى أعلن الشعراوى أنه لم يقرأ بعده أى كتاب على الاطلاق سوى القرآن الكريم .

لم تكن فترة الدراسة طبعاً خالية من المواهب .. ورغم أنه لم يكن

معروفاً بتفوق دراسى ما فى اللغة .. أو ذيوع وصوله السهل إلى قلوب الناس والاندماج معهم ربما لأن رفاق الدراسة كلهم كانوا هكذا ، أولاد فقراء وبسطاء الروح ، خفيفي الظل ، متفقي التفاصيل الاسلامية يتبارون فى معضلات الفقه ومسائله .. وفى آخر الطرائف والنكت والتلميحات !! ومن ثم فلا مجال لصعود نجم أحدهم فوق الآخر فى ظل ظروف كهذه ، إلا أن الشعراوى كان متفوقاً فى الشعر ، وهو شعر تقليدى بطبيعة الحال ، مقلد إلى نحو كبير لشعر أحمد شوقى الذى كان الشعراوى – ولايزال يحبه كثيراً ويثنى عليه .. وكان شعر الشعراوى مناسبات كله ، شأنه فى ذلك شأن شعر موظفي المصالح الحكومية الذين ينتهزون أية فرصة لإلقاء شعرهم فى احتفال ما ، والشعراوى على سبيل المثال يكتب عن الملك فاروق قصيدة مطلعها :

فإذا الطلعة السنية لاحت

وتجلى الفاروق بحبل موطد

كبر الحشد والأكف تلاقت

بين من ردد الهتاف وزغرد

ولا يجد طبعاً أية مشكلة فى كتابة قصيدة عن ثورة يولية يقول فيها :

أحببها ثورة كالنار عارمة

ومصر بين مجبور ومرتقب

شقت توزع بالقسطاس جذوتها

فالشعب للنور والطغيان للهب

وبينما كان الشعراوى « الشاعر » يطالب الثورة بالنار واللهب يعود فيقول : إنه ذيل .. أبياتاً لهذه القصيدة « ولم يقل متى بالضبط وأين ؟ » قال فيها :

وهكذا خلتها والله يغفر لي

وكم لمواليد هذا الدهر من عجب

وكان ولع الشعراوى باللغة والشعر مفتاحاً لتميزه القادم كمفسر لغوى للقرآن له شأن جماهيرى شاسع .

* * * * *

وفى عام ١٩٥٠ يدخل الشيخ الشعراوى مبنى الإذاعة المصرية لأول مرة شيخاً نحيل الجسد ، بسيط الهيئة ، يكتب أو يعد حديثين كل أسبوع .. حديث يلقيه أحد رؤسائه فى الأزهر أمام الميكروفون ويتقاضى هذا الرئيس عشرة جنيهات « ونفهم أن الشعراوى لا يتقاضى عنه شيئاً » والحديث الثانى يذيعه الشعراوى بنفسه بأجر ١٧٠ قرشاً ، لكن بعد خمسة أسابيع فقط ترى الإذاعة فى تقريرها أن صوت الشعراوى « غير ميكروفونى » فتستبعده ويكتفى الشعراوى بالحديث الذى يكتبه (من الباطن) لرئيسه ، والغريب أن الشعراوى يحكى هذه الواقعة على أنها حدثت عام ١٩٨١ أى بعد ٣١ سنة من وقوعها الحقيقى .

هذه العلاقة الموئودة بين الشيخ والإذاعة لم يكتب لها العودة سوى بعد أكثر من عشرين عاماً ، كان الشعراوى خلالها قد سافر تسع سنوات للسعودية ثم أربع سنوات للجزائر ثم عاد إلى السعودية للتدريس بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .. ولا نعرف عن فترة مكوث الشعراوى فى السعودية والجزائر أكثر من سعادته الشخصية حين كان يلقى دروسه فى الجامعة فيرى الكعبة من شباك الفصل ، وفيما عدا ذلك فلا ذكريات ولا تفاصيل ، ويبقى سؤال هام حول لماذا لم يحظ الشعراوى بالشهرة نفسها التى حصل عليها الشيخ محمد الغزالى فى الجزائر ، هل لأن الجزائر – والمغرب العربى عموماً – لا يعرف كثيراً من أصول العامية المصرية والمصطلحات والأمثلة الريفية التى يشتهر بها الشعراوى ؟ (ربما)

* * * * *

بين عودة الشعراوى من الجزائر ، ثم سفره مرة ثانية إلى السعودية جرت واقعة دفعت الشعراوى إلى هذا المجد التليفزيونى الواسع .

لقد ظهر على شاشة التليفزيون .. كيف ؟

لقد التقى بمكتشفه !!

أحمد فراج خريج شعبة العلوم السياسية بكلية التجارة بالقاهرة عام ١٩٥٣ ، وقد دخل الإذاعة فى العام التالى لتخرجه ، والتحق

بالتليفزيون مع نشأته عام ١٩٦٠ ، ومن الإذاعة إلى التليفزيون تشهد حياة أحمد فراج تطوراً مكثفاً فقد اشتهر لفترة بزواجه من الفنانة المطربة صباح (ولايزال شريط بعض مباريات كرة القدم فى الستينات يحتفظ بصورتهما معاً فى المقصورة مهللين لفوز ما) ثم اشتهر فى الوقت نفسه باهتمامه بالدين وشخصيته الورعة المتدينة .. ويمكن التعبير عن طريقة تفكير فراج الديني وقتها باجابته عن سؤال وجهته له مجلة الإذاعة والتليفزيون ، كان السؤال حول الحب .. حلال أم حرام فأجاب أحمد فراج :

« الحب الحلال حلال .. والحب الحرام حرام » .

هكذا ! ..

كان يشغل منصب وزير الإعلام وقتها د. عبد القادر حاتم الذى استدعى أحمد فراج فى صباح أحد الأيام بمكتبه وطلب منه إعداد وتقديم برنامج دينى فى التليفزيون (وهى واقعة تجيب عن اهتمام المؤسسة الرسمية وقتها بالدين عكس مايشاع) .. ويقدم أحمد فراج برنامج « نور على نور » الذى تضرب شهرته الآفاق فى هذه الفترة فتصل للبرنامج مثلاً مليون ونصف مليون رسالة ، وتعاد إحدى حلقاته ١٢ مرة فى ليبيا ، و٤ مرات فى مصر و٢٠ مرة فى السعودية (كانت الحلقة للطبيب المهدى بن عرفه سفير المغرب الأسبق فى أمريكا) .

وصار أحمد فراج علماً فى هذا المجال ، وكان من الطبيعى أن

يتـردد على مكتب الإمـام شـيخ الأزهـر ، وفى إحـدى المرات حـيث كـان ينتظر خـروج أحد الضيوف من مكتب الشيخ حسن مـأمون شيخ الأزهر تبـادل الحـوار لأول مـرة مع مـدير مـكتبـه - الذى لم يكن سـوى الشـيخ الشـعراوى - دارت الكلمات حول قضـايا شـتى ، واستـشف أحـمد فـراج من خـلال الحـديث مـواهب الشـعراوى فى الالقـاء التليـفـزيونى والأداء الجماهـيرى فـاتفق مـعه على الظهـور فى حلقة من « نور على نور » مع وزير الأوقاف وقتها - عبد العزيز كامل ، وكانت عن غزوة تبوك .

لكن الشعراوى لم يظهر مرة أخرى على الشاشة سوى بعد أربع سنوات ، فقد سافر للسعودية .

وحين عاد عام ١٩٧٤ .. وجد أحمد فراج فى انتظاره ونور على نور أمامه !

* * * * *

عام ١٩٧٤ .. أشياء كثيرة تغيرت فى مصر .

أما رجال الدين والدعاة وقتها فكانوا ثلاثة أنواع .

نوع وقور متزن يرتدى العمامة « والكاكولا » ويتحدث فى صوت دفئ منضبط يتزعمهم الشيخ حسن الباقورى والشيخ عبد الحليم محمود .

النوع الثانى كان يمثله منفرداً الشيخ عبد الحميد كشك الظاهرة

التى استتشرت وقتها فى شرائط الكاسيت والكتب المطبوعة (خلسة) وهذا الاقبال الضخم على مسجده « عين الحياة » بشارع مصر والسودان الشهير ، وكان رجلاً متضخم اللغة انفعالى الأداء ، صريح العبارة ، بسيط الأمثلة ، شرس التهجم على كل مظاهر الحياة المصرية ورموزها .

أما النوع الثالث فكان فقهاء جيل الجماعات الاسلامية الشبيبة التى كانت تقوى عضلاتها فى هذا الوقت .

وجاء الشعراوى .

وانفتح التليفزيون أمام النوع الرابع .

كان الرجل جديداً تماماً ، أداؤه الحركى بالغ التطور ، فهو يتحرك بيديه وجذعه ويميل بمرفقيه ويغضب بملامحه ويضحك بأسنانه ويشير بكفه ويضرب على فخده ، كما أن أداءه الانفعالى والصوتى واضح الدلالة ، فكل انفعالاته تتركز فى نغمات صوته الذى يرتفع وينخفض ويخشن ويرق ويغلظ وينعم ، كما أنه كثير التداخل بين العامية والفصحى ويردد أمثلة متعددة من الريف القح الجوانى (لاحظ أن الرئيس السادات وقتها كان يتميز فى حواراته مع المذيعة همت مصطفى بالأمثلة الريفية وحكايات القرية) .

وكان الشعراوى أيضاً من أنصار التعليم على طريقة الفصول والكتاتيب ، حيث يطلب من الجالسين أمامه الرد على كلمة ويشاركونه فى

مثل ، لكنها كلها أمور تعتمد أساساً على التلقين وليس على المناقشة والأخذ والرد ، الأمر الذى ينتهى غالباً بالجالسين وقد صرخوا إعجاباً .

المهم أن برنامج « نور على نور » كان قد ألغى وسافر أحمد فراج إلى السعودية حيث ترأس اتحاد الإذاعات الإسلامية هناك ، واستمر الشعراوى فى برنامج منفرد حتى وقتنا هذا باستثناء بعض الأسابيع عام ١٩٨١ ، وأثناء أزمة سبتمبر واشتداد محنة الفتنة الطائفية كما أطلق عليها إعلامياً ، وكان توقف البرنامج الاضطهاد الوحيد الذى تعرض له الشعراوى منذ قدومه من السعودية ، فقد تولى وزارة الأوقاف فى حكومة ممدوح سالم فى نوفمبر ١٩٧٦ حتى أواخر ١٩٧٨ ، ولكن هذه الفترة أسقطها الشعراوى من حياته ودائماً مايعلن ندمه على الموافقة على الوزارة وتراجعه عن الخوض فى السياسة ، رغم أن الشيخ لايتردد أبداً فى الادلاء بحوارات .. وآراء سياسية يغلب عليها نفس الأداء الانفعالى .. والأمثلة الريفية التى لايمكن أن تصلح أحياناً للسياسة !!

وقد امتد نشاط الشعراوى ومده الإعلامى كاسحاً فى كل المطبوعات والمجلات العربية والمصرية ، ولم يترك مصورو الصحف زاوية لم يصور الشعراوى منها ، بل وتم تصويره أيضاً بين أبنائه وأحفاده وفى شرفة منزله فى الحسين ، وهو يسير أيضاً فى حدائق (يبدو أنها حديقة فندق ما) بعصاه ويحاور نفسه (أو المصور) - وبجانب الصورة

المنشورة عنوان ضخم هو الطريق إلى الله ! - وصور الشعراوى أيضاً وهو يضع يده على جبهته وقبضته تحت خده ، وهو يقرأ القرآن تحت أباچورة حديثة ، وله صور عديدة وهو يرتدى العباءة المزركشة على رأسه والشال أحياناً على كتفيه .

المهم فان الأمر كله جديد تماماً على الدعاة والمفسرين فى الحياة العربية حين يتحولون إلى نجوم مجتمع وأبطال أضواء ، حتى أن صورته تباع مع صور عبد الناصر والسادات وعبد الحليم حافظ ومادونا فى شوارع القاهرة ، كما أن هناك جناحاً باسمه فى فندق بالدقى ، وكذلك منح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة مصرية فضلاً عن نشر صوره له وهو يصافح الممثلين فى اليوم التالى لحضوره عرض المسرحية .. وتنشر صور حضوره حفل قرآن وذلك فى مجلة « الموعد » ثم تحول إلى شيخ الفنانات التائبات عن الفن (كما يقلن) حيث يفخر بأن حلاوة الإيمان فى صوته وكلماته تدفعهن إلى التوبة .

وهو الشئ الذى جعل الدخول فى معركة فكرية مع الشيخ الشعراوى أمراً صعباً للغاية ، فها هو يرفض تأكيد كلام الشيخ محمد سعاد جلال على أن الشورى ملزمة فى الإسلام (هذا فى وقت اشتدت فيه كل دعوات الفئات السياسية المصرية إلى الديمقراطية) .. ثم يرفض أى تحليل يقدمه الشيخ جلال لهذا التفسير ثم هاهو الشعراوى أيضاً يتهم توفيق الحكيم (رحمه الله) بأنه جمع بين شيخوخة العقل وطفولة الإيمان .. هكذا دون أى تردد !!

ثم يخوض عمار النقاش مع د. زكى نجيب محمود حول تفسير حديث نبوى ، فيعصف بأى محاولة للتفاهم بين الفلسفة والإسلام ، ومعارك أخرى لاتنقطع فيها سوى مقالات المعارضين له مثل د. فؤاد زكريا ود. يوسف إدريس ود. محمد رضا محرم وغيرهم .

وهى ساحة خلاف وقف فيها الشعراوى فى نفس الخندق مع الأفكار التى تطلق عليها لفظة « متطرفة » إذا خرجت من غيره ، ومع ذلك فان العلاقة بين الشعراوى وجماعات الاسلام السياسى فى مصر شديدة الحساسية والتوتر والرفض الواضح من الطرف الثانى ، وربما تشرح الواقعة الأمر على نحو واضح .

لقد كان الشعراوى ضيقاً فى لقاء رجال الدين مع أعضاء الجماعات الاسلامية المفرج عنهم من المعتقل ، وهى اللقاءات التى نظمها د. محمد على محجوب وزير الأوقاف لفترة ما ثم توقف عنها لفشلها ، وقد اشتكى أحد المعتقلين بمجرد جلوسهم قائلاً :

– كنا فى السجن حيث نصاب .

فقاطعه الشعراوى فوراً قائلاً :

– لقد سمعنا من شيوخنا يقولون : من المصاب ؟! قيل من يدركه الألم .. قالوا : لا .. المصاب من حُرم الثواب .

وخرج الشاب عن شعوره وصرخ عازماً الاعتراض ، لكن الشعراوى – مرة أخرى بقدراته الأدائية – يرد :

– لا .. لا لماذا هذه الثرثرة هل أنتم فى شك من قضاء الله !!

ورغم أن الشعراوى لم يكتب حرفاً منذ سنوات طويلة ، إلا أن مقالاته تنشر فى جميع صحف العالم العربى !!

والمعروف أن للرجل مجموعة كاملة من الصحفيين ، يفرغون شرائط محاضراته وندواته ويعيدون كتابتها ويدفعون بها إلى النشر ، ومنهم صحفيون كبار ، وهناك آخرون يراجعون مقالاته المطبوعة – والجميع يتقاضى أجراً عن هذه المهمة وأحياناً هدايا – وقد سجل الشعراوى أعلى رقم بيع فى السنوات الأخيرة حين وزعت سلسلة كتبه الصادرة عن أخبار اليوم حوالى مليون نسخة وعناوينها كانت عن السحر والحسد والموت (!!)

إنها ظاهرة ترتبط بتطور الاعلام وذيوع التليفزيون ، فهو شيخ الصورة قبل أن يكون شيخ الكلمة ، لكن أكثر ما أعطى للشعراوى هذا البريق وتلك المصداقية لم يكن فضله فى اللغة والأداء بل أيضاً محيطوه ومريدوه .

فهذا مثلاً دكتور جامعى يكتب عن طفولة الشعراوى شيئاً أشبه بالاسطورة ، كان الطفل الصغير محمد متولى الشعراوى هادئ الطباع كثير التأمل ، طويل النظر فى الأرجاء والنواحى المختلفة للطبيعة ، وكان يجذبه هديل الحمام وأصوات الطيور التى تروح وتغدو فى الحقول ، ولايحلو له شئ مثل الجلوس على قش الأرز فى الليالى المقمرة الهادئة التى تعتبر من سمات ومحاسن الريف .

لقد تحول الشعراوى إذن من مجرد داعية ومفسر إلى ظاهرة .

ولم يعد الشيخ الذى يقول فيخطئ ويصيب .. ولكن صار الظاهرة الكبرى المتفردة التى نراها ونسمعها .. وأحياناً نادرة جداً ماننناقشها .



الشعراوى ليس صاحب قداسة

كفانا الله شر القتال .. لكنه لم يكفنا خيره .. لقد فعلها الشيخ الشعراوى .. وأراحنا .. فها هو يتخلى عن الدوران واللف حول أفكاره الحقيقية ، ويكشف - لأول مرة - عنها .. هذه الأفكار التى كلما اقتربنا منها بالنقد ، انفجرت تحت أصابعنا ألغام موظفى الشيخ الشعراوى فى الصحافة والإعلام .. وتابعوه باحسان إلى التليفزيون (..) .

كشف الشعراوى .. أو انكشفت أفكاره .. لافرق .

فالرجل باء بها .. باء بالتطرف .

يملك الشيخ الشعراوى تأثيراً خطيراً على الجماهير فى مصر ، ومن هنا تأتى أهمية مايقوله .. ويذيعه على الناس سواء وهو فى حلقة الدرس وحصة الدين التى يقدمها فى التليفزيون .. أو من خلال أحاديثه الإذاعية والصحفية التى تغرق العالم العربى ، وربما تغرقه فعلاً دون أى مجاز (!!) .

وتاريخ الشعراوى الحافل بالمعارك ، لم يحفل مرة بمعركة واضحة مع المتطرفين ، دعك من التصريحات الإعلامية غير الرنانة التى تطويها بعض الصفحات فى بعض المجلات نقلاً عنه ، لكن الرجل فيما هو واضح (وهاهو يزداد وضوحاً) ، لايبعد كثيراً عن مضمار التطرف والمتطرفين فى مصر .

بصراحة ما استطعنا إليها سبيلاً ، نستطيع أن نزعم أن الحوار

الذى أجرته معه جريدة عقيدتى (العدد الثانى - ٨ ديسمبر ٩٢ - ص ١٠ ، ١١) إنما يصب تماماً فى خندق التطرف .

وهذه أدلتنا .. وهاتوا أنتم برهانكم .

نبدأ من الأخطر ..

سألوا الشيخ الشعراوى بالنص :

- وماذا عن المواجهة التى تحدث الآن بين الجهات الأمنية والجماعات التى تنسب نفسها للاسلام ؟!

هذا سؤالهم .

وكانت إجابته بالنص الحرفى :

- هذا مالا أحب الحديث فيه .. لأن هناك - ١٠٪ صواب عند هؤلاء .. و١٠٪ صواب عند أولئك .. وهناك ٩٠٪ باطل عند الطرفين .

وأنا لا أفهم أولاً وثانياً وثالثاً كيف تختصر وتبتسر المواجهة بين المجتمع المصرى والتطرف ، إلى مواجهة بين جهات أمنية وجماعات منتسبة للاسلام ماهذا القصور الأعرج فى التفكير ؟!

هل فعلاً القضية فى مصر الآن صراع بين عبد الحليم موسى وعمر عبد الرحمن ؟!

إذا كان السائل يتصور ذلك ، والمسئول (الشعراوى) يوافقه

فهذه كارثة لاتدل على شئ أكثر من أنهم ينظرون من خرم إبرة على مصر (..) .. ثم تتحول الكارثة إلى مصيبة .. حيث أن الشعراوى :

١ - لا يريد - عفواً لا يحب - الحديث فى هذه المواجهة وهو أمر لا يحتمل السكوت .. فهل قرر الشعراوى في ظل أزمة مروعة تطيح بمصر كلها أن يتفرج وألا يتحدث .

ومع ذلك فقد كنت أتمنى - فعلاً - ألا يتحدث !!

٢ - إنه يرى أن المتطرفين يملكون صواباً بنسبة ١٠٪ ولا أعرف من الشعراوى أى ١٠٪ يقصد ، هل ترويع الآمنين ؟! هل القتل ؟! هل تكفير النظام ؟! هل سب المفكرين ؟! هل هذه الـ ١٠٪ ... ؟!

ولانريد لأحد أن يزايد فإنه قد يقصد من الـ ١٠٪ الصواب تلك الآيات القرآنية التى يزينون بها منشوراتهم أو اللحى التى يرفعونها فوق صدورهم أو الجلاليب القصيرة أو المصحف فى جيوبهم الشمال ماذا بالضبط الـ ١٠ ؟!

أين صوابهم ؟!

حتى لايختلط على الناس - جماهير الشعراوى الغفيرة - أى صواب يقصد .

٣ - ثم ماهو الباطل الذى يقصده عند الجهات الأمنية ؟! وهو بالمناسبة ٩٠٪ .

كل ما أتمناه هنا أن يملك الشعراوى الشجاعة - وقد يملكها - لأن يوضح لنا بالتفصيل نسبة الـ ٩٠٪ الباطل التى تحملها الشرطة والأمن المصرى فى مواجهتها للمتطرفين ؟!

وإذا كان عبد الحليم موسى - وزير الداخلية - حريصاً هو الآخر (وهو رجل من مريدى السيدة زينب) ، أن يحصل على بركة الشيخ الشعراوى ، فليسأله متفضلاً ومتكرماً (ياسيدنا الشيخ ماهو الباطل) .

لكن كيف لرجل مثل الشعراوى يتحدث ليل نهار فى تليفزيون الدولة وصحفها وإذاعاتها ومساجدها يخرج علينا بأن المواجهة الأمنية للمتطرفين تحمل ٩٠٪ باطل فى نفس التوقيت الذى تسقط فيه دماء رجال الشرطة فى مكافحة الإرهاب والتطرف ؟! كيف ؟

٤ - إن كلام الشعراوى وهو هنا يستخدم النسب المئوية والحساب كما دأب على استخدام العلوم ، وفهمه الخاص ، لها فى أحاديثه الغزيرة الكثيرة ، يسمح لنا بزيادة نسبة من هنا ونسبة من هنا على الباطل والصواب لدى المتطرفين ، بحيث يخرج الأمر بعد ذلك على هوى الآلات الحاسبة والجداول الاحصائية وليس على فهم تفصيلى حقيقى خالص للأمور ، ورصد ووصف وتحليل للحوادث والأفكار .

وقد وافق سائلو الشعراوى على إجابته تماماً فهم منبهرون بالرجل منذ اللحظة الأولى (وهذا حقهم ، ولكن ليس واجبهم أبداً) ، فسألوه بلهفة :

وما الحل ؟

وجاءت اجابته على النحو التالي :

- لابد أن نصل إلى شئ نتفق عليه وهو ماليس من عملي ولا عملكم ولا عمل أحد ، ولكنه عمل من هو أعلى منا جميعاً ، وبذلك تنتهي المسألة ولايشعر أى من الطرفين أنه مهزوم للآخر ، بمعنى أنه لابد أن يكون هناك مشروع أعلى من الطرفين ، فلا يتعالى أحد على أحد .

وأنا - كاتب هذه السطور - أتحدى أن يكون أى أحد قد فهم أى حاجة من هذه الاجابة .

لكن الأمر لا يمنع من التأمل .

١ - إذا كان الشئ الذى نتفق عليه ليس من عملنا وهو من عمل الله .. فهل ننتظر جلوساً أمام الشيخ الشعراوى فى أحد دروسه أن يهبط علينا الحل من سقف الجامع (!!) .

(وهى فرصة كي يصور التليفزيون الحل وهو نازل من السقف)

٢ - أنا لاأفهم على الطلاق معنى جملة أن يتعالى أحد على أحد التى يقولها الشعراوى .. من هو الذى يتعالى ؟!

يتعالى إيه يا سيدنا الشيخ ؟!

إن هذه معركة بين مجتمع يريد لنفسه التقدم والتطور والحضارة ،

والاسلام الحقيقى يضمن له كل هذا ، وبين فئة باغية ضالة ترفع السلاح ضد الجميع وتقتل وتشرد وتمزق مجتمعاً إسلامياً شر تمزيق .. هل المطلوب إذن أن نراعي إحساس ومشاعر ورقة المتطرفين ونصل معهم إلى حل حتى لايشعروا أن أحداً تعالى عليهم (!!)

لكن أعود وأقول أننى لم أفهم إجابة الشعراوى وأترك التعليق لمن فهمها .

طبعاً ليس هذا هو السؤال الوحيد الذى أجاب عنه الشعراوى .. بل هناك أسئلة لاتقل روعة وإذهالاً عنها .

خذ مثلاً :

فى إجابته حول سؤال عن الشريعة الاسلامية قال :

- واعلموا أن الحكام فى كل الدنيا يتملقون شعوبهم ويحاولون أن يفعلوا ماتحب هذه الشعوب ، فإذا أظهرت الشعوب أنها تريد الدين فسوف يجلس الحكام على السجادة ويمسكون السبح لأن الحكومات تريد أن ترضى الشعوب وتعطيها ماتريده ، فاذا كانت تريد الدين أعطتها الدين وإذا كانت تريد اللهو أعطتها اللهو « انتهت إجابته » .

ونحن لا نعرف أى حاكم وأى دنيا يقصد الشعراوى .

نحن نعرف فقط أن شعوب العالم المتقدم هى التى تختار حكامها بحرية كاملة وتطردهم بحرية أكثر اكتمالاً ، وأنها تغضب فيسمع الكل

غضبها وترفض فيرضخ الكل لها ، كما أن الحكام هناك حكام وراءهم وأمامهم مؤسسات ديمقراطية علمانية بالمناسبة تنزع الملك عن المنحرف وتعطى الحق للعادل .

ونحن نعرف فقط حكام العالم الثالث الذين لا يفكرون فى الشعوب أصلاً « ومابالك بأن يتملقوها » وهم يقمعون شعوبهم بكل الوسائل والسبل وهناك منهم الكثيرون الذين يحكمون البلاد لمدد رئاسية مفتوحة حتى يتوفاهم - أو يتوفانا - الله ، وهناك من هو على مقعد الحكم منذ ٤٠ عاماً ، وآخرون منذ ٣٠ عاماً وهلم قمعاً !!

لكن مايقوله الشعراوى هنا أيضاً فيه خطورة فظيعة :

أولاً : إنه يقصر الاسلام والدين على مسبحة الحاكم وجريه على السجادة ، بينما يحذف من قاموسه أية كلمة عن العدل ، وعن الديمقراطية والأشياء التى إن تبدو للبعض تسوؤهم .

ثانياً : إنه - من الواضح جداً - يتهم الشعب الذى لا تطبق فيه الشريعة إنه يريد اللهو ، ولذلك فالحاكم يعطيه اللهو ، وهو ليس تبسيطاً مخلاً بقدر ماهو تبسيط هش ، فالشعب المصرى متدين تماماً ، وحكومته وحكامه فى كل عصورهم دون استثناء يحترمون الدين والتدين ، بل إن الشئ الوحيد الذى يتملق فيه الحكام المحكومين هو الدين فى التليفزيون وأولها برنامج الشعراوى جزء أصيل من هذا التملق .

ثم تتتالى إجابات الشعراوى ، لكن والحق يقال أن أخطر إجابة فى تاريخه كله جاءت رداً على سؤال حول الفتاوى التى يصدرها من يعلم ومن لايعلم .

قال الشعراوى بالنص الحرفى :

– السبب أن الدين ليس له صاحب ، فهل نجد أحداً يفتى فى نظام الحكم ؟ فى الدين تجد كل من فكر ، وكل من درس له توجيه ، وأنا أمير وأنت أمير ، وليس أحد أحسن من الآخر ، أما إذا كان للدين صاحب وأمير واحد وإمام نتفق عليه فلا يستطيع أحد أن يتكلم .

تأملوا إجابة الرجل .. ثم تأملوا تعليقنا .

١ – كيف للشعراوى أن يقول إن الدين ليس له صاحب ، هل الدين أصلاً ملكية فرد أو مؤسسة أو جماعة ؟ ماذا إذن عن الكلام اليومى المعاد عن أنه لا كهنوت فى الإسلام ؟! .. ولا أفهم ماذا يعنى بصاحب الدين ؟! هل هو صاحب ترخيص الدين ؟! أو مانح صكوكه ؟ ماعلينا .

٢ – من الواضح للأعمى وللبصير وللأعور أيضاً أن الشعراوى لايعترف بشيخ الأزهر ولابمفتى الديار المصرية . فالرجل ينفى أن هناك أميراً واحداً ، وإماماً نتفق عليه ، ألم يصل له خبر بأننا نتفق على الشيخ طنطاوى ، وأن حكومتنا – التى تتملقنا – اختارت الشيخ جاد الحق إماماً للأزهر ..

الذين لايتفقون على هذين فقط هم الجماعات المتطرفة ، لكن الشعراوى يضيف اليوم نفسه معهم .. وبدلاً من أن يدعو الناس فرادى وجماعات إلى الاستماع لرجل واحد ومفتى واحد وإمام واحد .. يعترف بأن الدين ليس له صاحب ويتغافل ويتجاهل تماماً الأزهر والمفتى ، من حق المتطرفين إذن قبل هذا الكلام وبعده أن يفعلوا أى شئ .. وسيعذرهم البعض .

٣ - يعود الشعراوى إلى قول جملتين لا تقلان خطورة :

الأولى : أنه سيأتى أناس مصابون « باسهال » الفتاوى ، حيث يفتون فى كل شئ .

الثانية : أن فتوى الدين جاهزة ، وليست تفصيلاً ، إنها كالملابس الجاهزة تماماً وأنت تختار الذى يناسبك .

وقد خان هذا التعبير تماماً اللغوى الفذ متولى الشعراوى ، فها هو يصف الفتاوى وأصحابها بالاسهال ، وطبعاً أنتم ونحن وهو نعرف ماذا فى الاسهال !!

ويصف الفتاوى كذلك - بالملابس الجاهزة .. وهو تشبيه جد غير لبق .. ولا موفق .. وربما مهين كذلك .

٤ - لكن دعونا من التشبيهات واللغة « وهى قضية الشعراوى

المفضلة والأثيرة » ونسأل ماهذا التناقض ؟ هل الشعراوى مع فتح باب الفتاوى أم مع غلقه ؟ هل يؤيد اختيار الملابس أو الفتاوى الجاهزة ؟ أم لا يسمح ببيعها فى الأسواق .

٥ - على العموم .. بعد أن أعلن الشعراوى عدم اتفاقنا على إمام وأمير فتوى واحد .. فيحق له أن يفعل ويقول ويضيف مايشاء .

ويبقى فقط من عشرات الملاحظات على الشعراوى وكلامه وأحاديثه ، هذا الموقف الغريب الذى يلح عليه الشعراوى ويمعن فيه دوماً الموقف ضد المسيحيين والمسيحية وهو موقف خفى ومستتر ، لكنه ليس كذلك على المتأمل الفاحص ، وهاهو فى الحديث الأخير يقول بالحرف الواحد « فالمسلمون تخلفوا حينما ابتعدوا عن الاسلام بينما الأوربيون حين تمردوا على الكنيسة عزلوها ، فالعيب إذن فى المسلمين وليس فى الاسلام ، وانظر إلى من يعتنق الاسلام من الأوروبيين ، فسوف تجد أنهم المفكرون والعلماء فحيث يعمل الانسان عقله وفكره لن يجد دينا إلا الاسلام » .

والحقيقة أننا لن نتكلم عن تلميحات الرجل الواضحة ، لكننا سنتكلم عن ألفاظه وعباراته المباشرة فقط .. فالرجل لم يقل لنا عندما تمرد الأوروبيون على الكنيسة وعزلوها وتقدموا ، ماذا فعلوا ؟ .. إنهم

فى نفس التوقيت الذى يتقدمون فيه يرتدون الملابس التى لا تعجب الشعراوى وتنتشر بينهم ظواهر لادينية « بمعنى أن الدين الاسلامى والمسيحى لايرتضيها على السواء » ، وتسيطر عليهم أفكار وأمور ورؤى يبذل الشعراوى جهداً كى يفندها للبسطاء ، فهل المطلوب إذن عزل الكنيسة وعزل الأخلاق والقيم من أجل التقدم ؟ نحن فقط نريد أن نعرف لا نريد أن نستنكر ؟ ثم من قال إن الكنيسة معزولة الآن فى أوروبا ، مارأيه فى الفاتيكان وتأثيره ؟ ومارأيه فى الصراع على مزيد من تحرر المرأة فى الكنيسة الانجليزية ؟

الدين لم يعزل فى أوروبا .. بل إن رجال الدين هم الذين عزلوا ولذلك - فقط - تقدمت أوروبا ، أما عن قول الشعراوى أن العلماء والمفكرين فى الغرب يدخلون الاسلام ، فهو قول سليم وصحيح مئة فى المئة .. « إذا أردنا استخدام نسب الشيخ الشعراوى ، لكن أيضاً يعتنق الإسلام فى أوروبا وأمريكا ، كثير جدا من الزنوج والفقراء والبسطاء والهامشيين والراقصين والراقصات .

إن أفكار الشعراوى فى هذا الحوار بصراحتها ووضوحها وأفكاره فى غير هذا الحوار بغير صراحتها ووضوحها تؤكد أن الرجل إنما يمهد للملايين فى مصر ، الطريق نحو التطرف أو على الأقل التعاطف مع المتطرفين أو على الأقل الأقل السكوت عنهم .

لكن البعض لايزال وسيزال مصراً على أن الرجل ليس كذلك .

وهم أحرار .. أحرار فى أنفسهم .. فى أجهزتهم .. وفى عزبهم .. وفى مؤسساتهم .. وفى وزاراتهم « .. » لكنهم ليسوا أحراراً – ولن يكونوا – فى مستقبل هذه الأمة .

الأمة التى ضحكت من أجهزتها الأمم .

* * * * *

وهكذا صار رجل الدين .. الدين نفسه .

وهكذا أصبح الشيخ الشعراوى .. الإسلام .

لقد خرج علينا البعض حاملين مدافع أقلامهم الرشاشة – والآلية – يتهموننا بالهجوم على الإسلام والطعن فيه ، لأننا تجرأنا وهاجمنا الشعراوى وقلنا إنه فى خندق التطرف .

ولأن أحداً ليس فوق النقد ولا الشبهات فالاسلام لم – ولن – يعرف القداسة .. ولن يملك أحد – مهما علا قدره واشتد عوده الإعلامى والجماهيرى – الإدعاء أن الحق معه وأنه يمثل الإسلام وأن أفكاره ضد المناقشة .

لا أحد فوق المساءلة وخصوصاً أنه يزرع حقول النار فى هذه الأرض .. ويمهد الطرق للمتطرفين كى يدخلوا فى آذان الناس ويتربعوا فى عقولهم .

إن ماحصده – ويحصده – عمر عبد الرحمن كان بالضبط

حصاداً لما زرعه – ويزرعه – وضع اقتصادى وظرف سياسى .. وحديث تليفزيونى !!

إن المشكلة الحقيقية ليست فيما يقول الشعراوى فى التليفزيون ولا فى حواره الأخير مع الجريدة – التى جعلت جلاء همها وكفاح عمرها فى عودة الشيخ كشك للخطابة – ليست هنا المشكلة ، رغم فداحة مايقول – بقدر ماهى تحويل الشعراوى إلى رجل لايناقشه أحد ، إلى رجل يكفى نقده أن يثير الملايين من الناس ضدك .

ملايين المتعاطفين دينياً وعشرات المستفيدين مالياً .

ولم نكن لنقترب من الشعراوى ، إذا لم نملك جرأة الحق ، وإذا لم يكن هو يملك هذه المساحة الخطرة من التأثير التى جعلت كلامه الأخير عن التطرف والحكم والفتوى كارثة قومية .

كارثة قومية .. لأن الناس تصدقه وتسير وراءه وتسمع كلامه ، بل وتدافع عنه ولا تراه مخطئاً ، على أية حال وبأى نحو ، لأنهم ببساطة يرون عشرين عاماً مضت من التضخيم الإعلامى والنفخ التليفزيونى والدعايات المجانية .

كارثة قومية .. لأنهم صدقوه من قبل .

حين اعتلى كوزير للأوقاف منصة مجلس الشعب وهو – بنفس الأداء وبذات الأسلوب – يقول دفاعاً عن السادات « حينما كانت شهور

العسل بين المتطرفين والسادات » وقف يدعي ببلاغة القرآن أن السادات « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » سورة الأنبياء .

لأنهم صدقوه من قبل .. حين جلس أمام عدسات التليفزيون يحكي كيف سجد شكراً وصلى ركعتين لله لأن مصر انهزمت فى نكسة ١٩٦٧ .

وكانوا قد صدقوه قبلها .

حين كتب يرثي جمال عبد الناصر باكياً دامعاً بنفس الأداء وذات الأسلوب ويمدح فى الرجل الثائر العظيم .. وغيرها من الصفات التى منحها الرجل لعبد الناصر ناسياً سجوده شكراً لهزيمته .. أكان كذباً إذن أم نفاقاً .. !! بل وصدقوه بعدها .

حين وقف أمام عدسات التليفزيون فى اعلانات لشركات توظيف الأموال .. ونشرت صوره فى الصحف تدعو الناس للايداع فى هذه الشركات من أجل الربح الاسلامى .

لكن ذاكرة الشعوب ضعيفة .. وذاكرة الشعب المصرى متهالكة . .. لكن هل يمكن أن ننسى أو نتغافل عما يقوله الشعراوى الآن ، حالاً ، فوراً ، وجهاراً نهاراً فى صحيفة ترى أنها تحارب التطرف ، فإذا بها تحاربنا وإذا بها تدعو لتطرف فادح .

وإلا ماذا تسمون ماقاله الشعراوى لها ونشرته ودافعت عنه .. فهم

لايطيقون أى معارضة لهم ولا مناقشة للمصائب التى يرتكبونها فيسرعون إلى الاتهامات التافهة بأننا « حمر » والحقيقة أنهم لايرون بالمشاركة مع ثيران المصارعة فى أسبانيا - سوى اللون الأحمر .

إنهم يتصورون أن كل مانريده هو منع برنامج الشعراوى فى التليفزيون ، ونحن لا نريد ذلك ، ولكن كل مانريده أن يكون هناك من يستطيع مناقشة الشعراوى ، أن يكون هناك من يمثل فكراً معارضاً للرجل ويتمكن من أن يقوله لجماهير الشعراوى .

كل مانتمناه - ونريده ونرجوه - ألا يفعل الاعلام فينا مافعله فينا بالشعراوى ، حين حوله إلى أسطورة لايصح المساس بها ولاانتقادها ، والله سبحانه وتعالى أرحم بنا من عباده وإعلامنا .. ونحن نلجأ إلى فتح ملف الشعراوى إلى آخره وهو يعلم ، ونحن نعلم ماذا فى آخره .

إنه من الهباء جداً أن يتصور أحد أن معالجة التطرف ومكافحة الارهاب تأتى بظهور « السبح فى أيدى المسئولين » وتغميض العين فى صلاة الجمعة المذاعة على الهواء مباشرة ، وكتابة الآيات القرآنية فى نهاية المقالات ومواجهة التطرف الدينى بالتطرف الاعلامى .

إن جر قدم الوطن إلى أرضية المتطرفين ، جر لنهر من النار ، إنه نفس ماحدث فى السبعينات حين قرر السادات أن يهادنهم ويتحالف معهم .. وتبادلوا الابتسام طويلاً ثم تبادلوا الرصاص أخيراً .

إن هؤلاء ومن يشجعهم ومن يقول قولهم « بصرف النظر عن الصياغة » يشعلون شوارعنا ناراً .

هذه النار التى أراها فى إجابة الشعراوى عن أحد الأسئلة التى فضلنا أن نتجاهلها فى المقال السابق ، لكن ماذا نفعل ؟!

قال الشعراوى - ولست فى حاجة إلى أن أقول إنها إجابة بالحرف الواحد :

- « ولو أنهم قالوا مثلما نقول .. نحن ندعو إلى أن يحكمونا بالاسلام ، ولانريد أن نحكم نحن بالاسلام .. احكمونا أنتم بالاسلام ولا أقول إننى أريد أن أزحزح الحكام عن كراسيهم ، ولكن أقبل الحاكم الموجود وأنا أريد منه فقط أن يحكمنى بالاسلام » .

- ليقل لنا إذن الشيخ الشعراوى صاحب الملايين من المحبين والآلاف من المريدين والمئات من العشاق والعشرات من الصحفيين والكتاب - وآخرهم عادل حسين .

ليقل لنا إذن بماذا يحكمنا حاكمنا - الذى لاتريد أن تزحزحه - بالاسلام أم بغيره ؟

وليقل لنا عشاق الشعراوى .. أى اختلاف بين ماقاله هذا ومايقوله عبود الزمر وعمر عبد الرحمن ؟

ولهم أيضاً عشاقهم !!

□ □ □ □

ويصر الشيخ الشعراوى على أن يفتى فى كل شئ ..

وهو حر فلديه جماهير صامتة ساكتة مؤمنة - ومستعدة دوماً للإيمان - بكل مايقوله .

وهى جماهير واسعة وكثيرة (ليست كغثاء السيل) تغرى أى فرد - فما بالك بالشعراوى - أن يفتى ويشرح ابتداء من تغيير القبلة إلى تغيير الدم .

لكن الشيخ الشعراوى - فى الوقت نفسه - لا يحب أن يناقشه أحد - فضلاً عن أن يختلف معه .

وعندما هاجمنا الشعراوى (أقول هاجمنا وأعنى الستة حروف تماماً) ، حين صرح أو أفتى فى حوار صحفى أن ٩٠٪ من الحكومة والجماعات المتطرفة على باطل .. لم يرد الرجل ورد صمته كثيرون ممن يحبون الجلوس تحت أطراف قدميه (كما قالوا هو ولم نقل نحن) .

لكنه عندما آثر الرد الأول مرة قرر أن يرد لصحيفة - صوت الجامعة - وهى الجريدة الطلابية التى يكتبها ويحررها الطلاب ويقرأها الطلاب فى امتداد مصر وعرضها .

إذن اختار الرجل بعناية وبتعمد ربما هذه الجريدة لأنه يعلم مقدار تأثير نشرها لرده فى أوساط الشباب .. وحجم تأثيره فى جماهير الطلبة (١٧ إلى ٢١ سنة) الذين تربوا على برامجه التليفزيونية ، وقدسيته الواردة من الخارج .

وأراد الشعراوى أن ينفى اتهامه للحكومة بالباطل .. وقال إنه لم يقل هذه التصريحات والعجيب أن التصريحات منشورة فى صحيفة مصرية .. ولم نأت بها من سنغافورة أو أفغانستان .

إننا نريد فقط أن نعتبر نفى الشعراوى لهذه التصريحات مجرد سهو أو نسيان أو غفلة .. ولانريد أن نسميها كذباً حتى لاتغضب جماهيره .. (...... فقط) .

لكن الحوار نفسه مع صوت الجامعة فى عددها الأخير (فبراير ١٩٩٣) يدفعنا إلى الكلام مرة أخرى .. ونحن نطمئن الشيخ الشعراوى أننا لن نسكت أبداً وسنظل نناقشه مهما غضب هو أو غيره ، ومهما كرهنا نفر من هنا أو هناك .. فبالاضافة إلى أنه لا يأسو على الحب إلا النساء ، فان الحق أحب إلي من الشعراوى ، وملايينه (نقصد الجماهير لا الأموال) .

الشعراوى قرر أن يفتي أولاً فى مشكلة البطالة .. نقول يفتى لايدلى برأى .. فالناس تتعامل مع كلامه على أنه دين ومع رؤاه وأفكاره على أنها تمثل الاسلام (وفى رأيي أنها تمثل به أحياناً) يقول الشعراوى هنا :

– البطالة تنشأ من أن أناساً يطلبون عملاً بذاته ، أما الذى يطلب عملاً ليعيش فلن تضن حركة الحياة عليه بعمل (ثم ضرب بيديه الوسادة التى أمامه) ، إنما أنتم تطلبون عملاً مخصوصاً وتريدون الجلوس على

المكاتب والدولة ليست مسئولة عن البطالة .. البطالة فى النفس ، والذى يريد أن يعيش عليه أن ينسى أنه صاحب مؤهل مادام أنه أخطأ وذهب للمؤهل العالى ذى العمل القليل .

والحقيقة أننا نسمع هذا الكلام كثيراً (وخاصة من سائقى التاكسى) لكنه كلام يحمل خطورته عندما يخرج من شيخ بهذه المصداقية عند الناس خصوصاً وهو يوضح كلامه أكثر فيرى أن هناك فرقاً بين أن تحمل مؤهلاً يثقفك ويعيطك علماً وبين أن تعمل لتعيش .

وياسيدى الشيخ .. مامعنى أن يتعلم شاب أربع سنوت كومبيوتر ثم يعمل فى بيع النحاس .. مامعنى أن تعلم الدولة أبناءها سنين طويلة كي يتحصلوا العلم ثم يفيدوا وطنهم ويدفعوا فى سبيل تقدمه بما استفادوا منه وتعلموا ثم تطلب منهم سيادتكم أن يترك المؤهل العالى لأنه أخطأ اختياره من الأول .. وأن يعمل للرزق .

إن طلب العلم فريضة ، والعمل به فريضة أيضاً ، وأن هذه الدعوى التى ترفعونها إنما تدفع الأمة إلى هلاك محيط .

من صالح هذا الوطن أن نبحث عن أسباب البطالة لا أن نطلب من الشباب أن يرحل عن العلم ويهجره ، ومن حق الشباب أن يصبحوا أساتذة وعلماء ومهندسين وأطباء ومفكرين لا أن يقفوا فى محل لبيع الملابس الداخلية .. وبالمناسبة ياسيدى الشيخ إنك تظلم الشباب مثل غيرك حينما تتهمهم بالسعى إلى مكتب ، أولاً لأن المكتب شئ عظيم

خصوصاً لو كان عليه كومبيوتر (وأظنك تعرف الكومبيوتر) .. ثانياً لأن هناك آلافاً من الشباب يعملون الآن بغير مؤهلاتهم فعلاً سعياً للرزق ، ويمكن أن تسأل وأنت تدخل بسيارتك الشبح الجديدة محطة بنزين ، تسأل الشاب الذى يمون سيارتك إنت مؤهلك إيه .. وقد تفاجأ أنه مهندس (....) (نفتح قوساً ونقول كم سباك ونقاش ارتكب جريمة قتل تطرف دينى فى الفترة الأخيرة .. كم ؟!) .

وسنترك البطالة فلا أنا ولا الشيخ الشعراوى خبراء فى الاقتصاد ولنلتفت إلى ماقاله الشيخ عن الاختلاط فى الجامعة ، فهو يعطى لملايين الأسر المصرية إحساساً بأنهم لايرسلون أبناءهم وبناتهم إلى جامعات ولكن إلى حرام ، وأنهم يدفعون بأبنائهم إلى تهلكة ، وأن مايحدث فى الجامعة حرام فى حرام ، وأريد أن أسأل أى أم أو أب ما إحساسه عندما يقول له الشعراوى إن وجود الطلبة مع الطالبات من الأول حرام .. ويقول فى حواره :

- لأ ماتقوليش اختلاط وبعدين تسأل عن حدود العلاقة لأن وجودهم مع بعض من الأول حرام .

وعندما يحاول المحرر الشاب محمد شعير - وهو طالب يرى زميلاته يومياً فى الجامعة ويناقشهن ويزاملهن - يحاول أن يحصل على إيجابية واحدة للاختلاط ترحمه من التفكير فى أن يذهب كل يوم صباحاً إلى الحرام ويفطر ويشرب الشاى ويجلس فى المدرج وهو يرتكب هذا الحرام .. يرد الشعراوى :

- إيجابيات إيه ؟ الاختلاط كله سلبيات وإسألوا المشرفين على نظافة دورات المياه فى الجامعة ، ولن أقول أكثر من ذلك !!

أمانحن فسنقول أكثر من ذلك .

سنحاول من البداية أن نبلع استشهاد الشعراوى بدورات المياه .. (ولا أعرف كل هذه الثقة التى جاءته ليتحدث عن دورات المياه التى لم يرها ، وسمع عنها ، أو ربما رآها) .

وأريد أن أنبه الشيخ الشعراوى أن دورات المياه لا تنفع دليلاً على حرمانية الاختلاط لأن دورات مياه جامعة الأزهر (وهى التى لاتعرف الاختلاط) تحمل نفس المظاهر (..) كما أن دورات مياه المدن الجامعية لاتقل فى التعليقات المكتوبة على الجدران أو خلف الأبواب عن دورات مياه الجامعة المختلطة ، ثم - بالمناسبة - دورات المياه ليست مختلطة فى الجامعة .

ودعنا من دورات المياه ورائحتها التى ملأت السطور ولننظر للاختلاط بعيداً عن هذه الأماكن .

ياسيدى الفاضل إن هذه الدعوى بحرمانية الاختلاط فى الجامعة مقصود منها إلغاء الاختلاط فى كل مكان ، فى المصالح الحكومية والشركات والمصانع إنك تبدأ من الأصل حيث تريد للبنات أن ينفصلن فى الجامعة كى يبدأن الانفصال فى الحياة العملية ، الأمر الذى سيؤدى إلى جلوسهن فى البيت أحسن وأفضل .. أليس كذلك .

إن الاختلاط فى الجامعة (واسمح لنا أن نقول لك عن شئ عرفناه وعشناه) ، اختلاط قائم على العمل والعلم والشرف والزمالة والسعي نحو التقدم .. إن الشباب في الجامعة لايركزون فيما يركز فيه محرمو الاختلاط ، ليست السيقان ولا الشعور ولا الچيبات ولا الأجساد هى محور اهتمام الطلاب ياشيخنا ، بل إن الكبت والقمع والقهر والتمحور حول الجنس هو هواية وحرفة المتطرفين ، لكن الطالبات والطلبة زملاء وأصدقاء ، وليسوا – لا سمح الله – ماتفكر فيه ، إن جلوس الطلبة مع الطالبات فى المدرجات – وحتى فى حدائق الكليات – ليس عاراً وحراماً وانحلالاً ، وإن لم يكن تدارس علم وزمالة جامعة فهو اقتراب بين أخوة وأصدقاء وتفاهم بين عناصر أمة واحدة تريد لنفسها الحضارة والنهوض .

ثم إن أضرار عدم الاختلاط فى أماكن كثيرة (من السجن إلى الجامعات) جسيمة وفادحة ، وأظن أن الشيخ الشعراوى يعرف كارثة الشذوذ الجنسي ومخاطره التي تنجم عن هذا الكبت في مجتمعات بعينها ، ولدى أشخاص بعينهم (بعينهم يا مولانا) .

ثم ينتقل الشعراوى إلى منطقة أخطر إنه يتحدث للطلبة عن الدولة الدولة وليست الحكومة .

فماذا يقول ؟

هذا ماقاله الشعراوى :

- ياسيدى الفاضل أنتم تطلبون كلمة الذين فى دولة لا توظف الدين .

- الدولة دخلت فيها بالاسلام ؟ خلاص خليك علمانى عايز الاسلام ليه دلوقت ؟!

- حزب أمة إيه .. ! أنا أدخل حزباً إلا فى دولة قالت أن أوظف الاسلام ، أما الأحزاب فهى خاضعة لرأى البشر وأفكارهم .

- لما يبقوا يسألونى عن الحكم أبقى أقول لهم .

وعندما يسأله عن المبعدين الفلسطينيين يقول :

- أنا مليش دعوة .. وإذا قلت موقفى سيغضبون منى .. ولكن ماذا أقول فى دولة تقول على نفسها علمانية ، وماليش دعوة بالاسلام ألا يقول الفلسطينيون ذلك .. يبقى أنا رأيي إيه بعد كده .

وأريد أن يختلف معنا واحد (يارب يختلف) حول أن هذا الكلام تحريض من الشعراوى للطلبة ضد الدولة (.....) ، مرة أخرى أقول الدولة لا الحكومة .

إنها لا توظف الاسلام .. ولا تسأله عن الحكم الاسلامى ودخلت المعاهدات بعلمانية ، وعايزة الاسلام ليه دلوقت .

وهو حديث نسمعه بدلاً من المرة ألفاً من الشعراوى ومن عمر عبد الرحمن ومن عبود الزمر ومن مصطفى مشهور ومن مأمون الهضيبى .. ومن الشيخ جابر .

لصالح من يسحب الشعراوى الاسلام من هذه الدولة ، لصالح من يتوجه للشباب بالهجوم على الدولة التى نحيا تحت سقفها ونعيش ننتمى إليها .. إن الدولة - ياشيخنا الفاضل - ترفع آذان الاسلام وتعمل به وتوظفه (رغم أننى لا أعرف بالضبط ماذا تقصد بتوظيف الدين ، وأظنه غير توظيف الأموال ؟!) ، الدولة التى نعرفها ونعيش فيها تسمح لنا بالاختلاف مع المسئولين كباراً وصغاراً ، نناقشهم فى سياساتهم - وأحياناً فى فسادهم - ولنا مجلس شعب وصحف وأحزاب .

إن الشعراوى ينفى أنه قال إن الحكومة على باطل .

ماشى .

هى ليست على باطل كما تقول ، لكنها لاتعمل بالدين ولا بالاسلام وعلمانية ولاتريد الحكم الاسلامى .

كما تقول أيضاً .. أليس كذلك !!

لكن الشعراوى مرة أخرى - وليست أخيرة - بعكس حكومتنا لايريد لأحد أن يناقشه ويخاصمه ويختلف معه .. وحينما أراد الطالب الشاب أن يسأله عن سبب قبوله للوزارة فى عصر السادات رغم أنه لم يتعهد بالحكم الاسلامى .. غضب الشعراوى ونفر وقال :

- وبعدين أنتم حتقاضونى بقى ؟

نعم ياسيدى الشيخ ، نحن نقاضيك وسنقاضيك .. حتى يقضى الله أمراً كان مقضياً .

وإن عدتم .. عدنا .



المـرأة والكربـــاج

« ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق »

يونس ٥٣

أشارك المتطرفين الاهتمام بالنساء فالمرأة تستحق هذا .. وأكثر تستحق الحديث والكلام والمناقشة والاهتمام والهم والانشغال والتساؤل والاندهاش والاستغراب والإعجاب .. وأكثر .

لكن الفارق - غير الوحيد - بيني وبين المتطرفين أنني أهتم بالنساء .

لكنهم يهتمون بنساء الهوى .

تشعر وأنت تتابع آراءهم وكتبهم ومنشوراتهم وشرائطهم أنهم لايتحدثون عن المرأة .

إنهم مشغولون حتى أطراف لحاهم - بالمرأة في الديسكوتيك .. أو في شقة مفروشة بالعجوزة أو في بيت متعة في كلوت بك .

لاترى - في سطورهم - المرأة المصرية .. الفارق الحقيقي .

إنهم يرون سيقان السيدات ويرفضونها ويلعنونها ويحاولون هداية راقصات شارع الهرم !

بينما نحن نرى كف المرأة - وهو مسموح به شرعاً بالمناسبة - وهي تخيط فستاناً في ورشة ملابس أو تمسك بأنبوب اختبار في معمل بوزارة الصحة .. أو تكتب بطباشير في مدرسة نبوية موسى .

هذه هي المرأة التي نعرفها .. ونريدها لكن هناك امرأة أخرى - لانعرفها ولانريدها - نراها ونقرأ عنها وإليها عند الجماعات المتطرفة .

المسافة بين المرأتين .

هى موضوع هذه السطور القادمة .

□ □ □ □

بدأت الجماعات المتطرفة منذ فترة فضلاً عن حكوماتها فى أسيوط والصعيد مرحلة جديدة من نشاطها فقد دخلت عصر الاقتحام العلنى ، هاهو شريط كاسيت يصرخ بالبكاء والنحيب .. والتطرف فى مسجد تحت الانشاء بموقف أتوبيسات شبرا الخيمة - دون أن يعطله أحد !

وهاهى لافتات خضراء تحمل أحاديث نبوية غريبة تعلق فوق أعمدة الإنارة بشارع قصر العيني ولاينزعها أحد ولايفكر مسئول أن يقول لهم تلت التلاتة كام (بالمناسبة تلت التلاتة كام فى هذا الزمن) !

ثم هاهم يقتحمون العمارات والبيوت فيكتبون على مداخلها وسلالمها تهديدات واضحة لكل امرأة لاترتدى الحجاب وتحذرها بالنار بعد العقاب الدنيوى (من صاحبه ؟!)

ثم يوزعون - الآن - أمام الشقق فى بعض أحياء القاهرة كتيبات عن المرأة وحجابها ونقابها .

وهذا الكتيب الأخير قادم إلينا من الخارج هكذا يقول غلافه الذى يحمل عنوان « ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت » - وهذا يفترض طبعاً أنها غير منصلحة - أما المؤلف فاسمه محمد صالح المنجد - ولانعرف عنه

أى شئ آخـر - والغـريب أن هذا الكتـيب بنصـائحـه الأربعين وصفحاته الـ ٦٤ ينتشر كالنار فى الهشيم ويصبح بقدرتهم الهائلة على التوزيع اليومى مفروضاً على البيوت المصرية ، هذا فضلاً عن عشرات الكتب والكتيبات الأخرى التى تتناول نفس القضية (المرأة) وتتشارك فى ذات الأفكار وتشعر معها أن الأمر كله اتفاق مكتوب وسرى ومعلن على نشر هذه الدعاوى والتركيز على المرأة بقوة وبكثافة وبانتظام وبخطة مدروسة وحرص ظاهر وإلحاح مستمر .

الشرائط التى صارت أهم وسائلها فى الجهر والدعوة لآرائهم تفضح ذلك .

وتعدد الكتب عن النقاب والحجاب يكشف ذلك .

ومحاضراتهم ومنشوراتهم وسلوكياتهم اليومية تؤكد ذلك .

أما ذلك فما سنتحدث عنه .

* * * * *

مجرد أن صعد الأفغان الأصوليون إلى الحكم فرضوا الحجاب على نساء أفغانستان .

ورغم أننا نعلم - ونرى - أنهن نساء غلابا جبليات فقيرات زيهن الشعبى - أساساً - يغطى ويستر ثم إن نساء كابول لم يعدن إلى الشوارع - أصلاً - منذ تولى الأصوليين الحكم .

لكن المشكلة أن أفغانستان لن تتطور ولن تتقدم بفرض الحجاب ولن تصنع قنبلة ذرية بظهور أعين النساء فقط !

المشكلة أن الحجاب - مع منع الموسيقى وتحريم السينما - ليس دليلاً على أن أفغانستان تسير فى طريق الإسلام الذى يؤدى إلى الرفعة والمجد ورضا الله .

فالله - ياجماعة أو ياجماعات - لن يرضى على حكمتيار وأحمد شاه مسعود ومجدى وغيرهم وهم يقاتلون ويسفكون الدماء ويشنون الحروب الأهلية للحصول على مراكز أو مناصب أو لإحكام موقعهم من الحكم بينما اتفقوا جميعاً على فرض الحجاب وهو العمل الهش الفقير الهامشى .

اختلفوا على ماهو أعظم وأهم .

وضعوا نساءهم فى البيوت .. وأخرجوا مدافعهم الرشاشة .. منعوا التليفزيون والسينما والغناء .. وأباحوا الدماء المسكوبة والأعناق المذبوحة والبيانات المضادة والمنشورات المنددة.

أفغانستان دليل نفى على مايقوله كتيب « إصلاح البيوت » أو الكتاب الصغير - لايقل أهمية وخطورة - الذى يحمل عنوان « النبى والبنات » للشيخ عبد المعز خطاب .. وماجاء فى كتاب « عودة إلى الاسلام من جديد » لأبى مصعب الغريب ، ومايلح عليه ويلهث وراءه شيوخ وخطباء شرائط التطرف (اسمع من مصر وجدى غنيم ومحمد حسان ومن السعودية أى واحد !!) .

إنهم يفهمون الحجاب على طريقة نعمت مختار .

لكن من هى نعمت مختار ؟

إنها راقصة ممثلة أنتجت يوماً فيلماً بعنوان « المرأة التى غلبت الشيطان » وهو فيلم قاتم وكئيب ، لكن أهم مافيه هو فهم التوبة والعودة إلى الإسلام ، إنه مجرد إرتداء الحجاب والجلوس على سجادة صلاة .. « وكفاية » .

الحقيقة أن الإسلام ليس مجرد حجاب امرأة .. فليس صحيحاً أن قراراً سودانياً - مثلاً - بفرض الحجاب على مواطنات السودان يعنى أن حركة الحياة السياسية والاقتصادية ستتغير وتتقدم فى السودان .. ولن تصحو السودان - ولو بعد عشرين عاماً من فرض الحجاب - لترى كل شئ قد اختلف ، البترول خرج من الأرض بمعامل تكريره ، والأرض زرعت قمحاً وقرنق مات .

* * * * *

إنهم يرون عدم ارتداء الحجاب دليل انحلال وانحراف وفساد المجتمع ، وأن المرأة تمشى فتثير الشهوة والفتنة .

والحقيقة أن هناك - بالفعل - فساداً وانحلالاً وانحرافاً لكن الحقيقة المؤكدة أن عدم ارتداء الحجاب أو إرتداءه لن يؤثر - على الإطلاق - فى كمية ونوعية هذا الانحراف .

لادخل للمـينى چيب أو الخـمـار بانحراف أمـة أو تحلل مـجـتـمـع أو فساد بلد .

لادخل ولا أهمية لذلك .

فالمجتمع الأوروبى والأمـريكى يتيح لقضـيـة الملابس أكبر قدر من الحرية .. ومع ذلك فانه مجتمع متقدم متطور .. نأكل نحن من مزارعه ونلبس من مصانعه .. ونقتل بعضاً من مخازن أسلحته ..أليس كذلك .. ! (الأسلحـة التى قـتل بهـا المـحـجـوب وفـرج فـودة وغـيـرهمـا هل كـانت مصنوعة في مكة أو كابول ؟!) .

ثم إن المجـتمع - فى بعض مناطق أفـريقيـا - لا يعيـر الزى أى اهتمام .. ويعيش البدائية فى الملابس كما فى أى شئ .. ولن يعنى أبداً أن ترتدى نساؤه أغطية رؤوس أنه سيتقدم أو يتغير .

ثم إننا نرى على مبعدة ساحل البحر الأحمر أكثر المناطق التزاماً بمسـألة الحجاب والنقاب (وهـى مـسـألة شكلية بلا أى شك) ورغم ذلك لم نر عندهم تقدماً ولاحضـارة ولاتطوراً ولم نشهدهم معتمـدين على أنفسهم مـعـادين للغـرب مـسـتـغـنين عن أوروبا ومـصـانعـهـا وأمـريكا وشـركـاتهـا ومخابراتها .

* * * * *

إنهم يرون المرأة - كده على بعضـهـا - عورة !!

بداية من صوتها وانتهاء بعملها .

ويعتمدون على نصوص ثابتة تتكرر فى كل كتاباتهم ودعاواهم .

وإذا كان لى أن أفتح أطول وأهم جملة اعتراضية فى هذا الإطار فهى التأكيد على أننى لست ضد الحجاب ولا أملك ولا أتمنى أن أكون ضده لكن المشكلة أنهم يخلطون - مع سبق الإصرار والترصد - بين الشكل والمضمون إلى حد يثير الفزع من إلقاء التهم على غير المحجبات وحل مشاكل الدنيا بمجرد ارتداء حجاب .

ومن ثم فلا أنوى - أبداً - الدخول فى معركة فقهية لأى غرض .. ولكننى أنوى - للأبد - أن أرفض وأتكلم .

فهم مثلاً يعتمدون على هذه الأدلة فى تقويم عمل المرأة ونسمع مايقوله كتاب « إصلاح البيوت » :

شرائع الإسلام يكمل بعضها بعضاً ، وعندما أمر الله النساء بقوله : « وقرن فى بيوتكنَّ » جعل لهن من ينفق عليهن وجوباً كالأب والزوج ، والأصل أن المرأة لاتعمل خارج البيت إلا لحاجة ، كما رأى موسى عليه السلام ، بنتى الرجل الصالح على الماء تذودان غنمهما تنتظران فسألهما « ماخطبكما قالتا لانسقىَ حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير » فاعتذرتا حالاً عن خروجهما لسقى الغنم لأن الولى لايستطيع العمل لكبر سنه ، ولذا صار الحرص على التخلص من العمل خارج البيت حالاً تسنح الفرصة « قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين » فبينت هذه المرأة بعبارتها رغبتها فى

الرجوع إلى بيتها لحماية نفسها من التبذل والأذى الذى قد تتعرض له بالعمل خارج البيت » .

وهذه الحادثة تتكرر أيضاً مع جميع الكتب التى تدعو إلى المفهوم الموحد « قرن فى بيوتكن » وإلى عدم عمل المرأة .

إذا كان المقصود - الوحيد - بآية « قرن فى بيوتكن » هو معناها الذى يطرحه ويؤكده فقهاء التطرف ، فاسمحوا لنا أن نتساءل لماذا لم تلتزم السيدة عائشة أم المؤمنين وزوجة النبى صلى الله عليه وسلم وأعظم نساء المسلمين على وجه الأرض بهذا المفهوم لـ « قرن فى بيوتكن » .

فالسيدة عائشة وقفت - فى يوم من الأيام - على جمل فى قلب معركة محتدمة فيها دماء وسيوف وصيحات وصرعات وسميت المعركة لشهرتها ولأهمية مشاركة السيدة عائشة فيها باسم موقعة « الجمل » ضد على بن أبى طالب ، ونحن نسأل هنا : ماهى الضرورة التى يراها فقهاء التطرف فى خروج السيدة عائشة من بيتها (وهى السيدة التى لا تخطئ أبداً وبرأها الله من فوق سبع سموات) وماهى الضرورة أصلاً فى انغماسها فى صراع سياسى على سدنة الحكم ؟!

نحن نثق أن السيدة عائشة فعلت الأمر الصحيح بينما لانثق فى تفسيرهم .

ثم نأتى إلى قصة موسى وبنات الرجل الصالح ، فنسأل بداية : إذا كان المقصود منها أن خروج المرأة للعمل لأمر ضرورى ، وأن

القاعدة بقاؤها فى المنزل ، فلماذا لم يستأجر الرجل الصالح من البداية شخصاً لسقاية الغنم طالما مبدأ الاستئجار موجود .

ثم لماذا لا يتناقش أحد حول شرعية الحوار بين موسى والبنات ، رغم أنهن أجنبيات عنه ولايصح الكلام – بمنطق المتطرفين فقط – بينهم حيث أنه مااجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .

وبمناسبة الشيطان .. فهناك احساس سائد ومقولات ثابتة فى حكاية الخلوة بالرجل في العمل تستحق أن نقرأها معاً ، يقول كتيب .. « إصلاح البيوت » :

– أما سلبيات عمل المرأة خارج البيت فمنها مايقع كثيراً من أنواع المنكرات الشرعية كالاختلاط بالرجال ، والتعرف بهم والخلوة المحرمة والتعطر لهم ، وإبداء الزينة للأجانب وقد تكون النهاية هى الفاحشة .

وفى كتاب « النبى والبنات » نقرأ :

– ونحن نلاحظ وخاصة فى المرحلة الجامعية الفتيان يصادقون الفتيات باسم الزمالة ثم يتحول الأمر إلى رغبة مسعورة ، فاذا استجابت الفتاة للفتى دمرت نفسها ، وفقدت شرفها ولهذا يحرم الاسلام أى اختلاط بين اثنين دون محرم (مااختلى رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما) .. ونحن لا نصدق أن فى زماننا حباً عفيفاً أو كما كان يطلق عليه الحب العذرى بين قيس وليلى مثلاً ، فالشهوة عاتية

ولايمكن أن نضع النار بجوار البترول وأولى بالشباب أن ينصرفوا لدراستهم حتى يكملوا المرحلة التعليمية ويستعدوا بعد ذلك للزواج على أساس سليم وعلاقة نظيفة .

إن هذه الأفكار تصلح فقط لمجتمع هائج ، وليس لمجتمع سليم معافى محترم .

مامعنى - بالله عليكم - الشك فى مكتب بمصلحة أو شركة به رجل وامرأة .. يانهار أسود .. هل هذا اتهام للعاملين والعاملات فى مصر بأن بينهم شيطاناً وأن الخلوة - فى معمل أو مكتب أو غرفة مستشفى - اتهام معلق على رقبة الناس .

ثم إذا كان الشيطان ثالثهما فلماذا لايكون الضمير رابعهما .

ثم إن الشيطان موجود أيضاً مع المرأة الوحيدة فى البيت ومع الرجل الذى لم ير امرأة فى حياته أصلاً .

وإذا كان لدى المتطرفين الآن كومبيوتر ومراكز بحث ومتخصصون وهلم غنى فاننا ندعوهم لبحث أمين حول جرائم قتل الأزواج فى مصر ، ولنعرف هل كانت هذه الزوجات من العاملات أم من الجالسات فى الشقة ينتظرن عودة الزوج من الغربة .

أما الكلام عن الجامعة والحب العذرى فهو كلام مخز ، لايدور أبداً عن جامعة القاهرة أو عين شمس أو الزقازيق أو غيرهم من جامعات مصر العظيمة ، إنه كلام يليق بجامعة للبغاء .

إن فى جامعات مصر بعض الحماقات والانحرافات لكن الاختلاط ليس مسئولاً عنها أو على الأقل ليس المسئول الوحيد (هل كليات الأزهر للبنات وكلياته للبنين جنة الله على الأرض ؟) .. (ثم سؤال آخر حتى إذا لم يسمح أحد .. هل يمكن أن نتحدث عن الشذوذ الجنسى فى بعض البلدان التى تمنع الاختلاط فى مدارسها ؟) .

الحب العذرى يراه الشيخ عبد المعز خطاب غير موجود .

هو حر .. نحن نراه موجوداً .

ويعتز المتطرفون كثيراً بحديث النبى صلى الله عليه وسلم الذى قال : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، ولاتجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدى حق زوجها » .

ونحن لن نناقش صحة ونسبة هذا الحديث للنبى صلى الله عليه وسلم لكننا نسأل فقط : هل هذا الشرف الذى يُمنح للزوج لمجرد أن يوقع على ورقة الزواج .

ماهى صفات هذا الزوج الذى يمكن أن تسجد له امرأة ؟

ألا يشترط فيه أمور وفضائل ومواقف حتى يستحق كل هذا الشرف وليس لمجرد أنه منح لقب زوج أو رجل .

وهل يمكن أن نعتبر هذا الزوج هو نفسه الزوج الذى يعمل بالنصيحة رقم ٢٥ فى كتيب « إصلاح البيوت » التى تدعو إلى تعليق

كرباج فوق الحائط فى مكان بارز حتى يراه أهل البيت وهم يستندون فى ذلك إلى حديث نبوى يقول :

« علقوا السوط حتى يراه أهل البيت فانه أدب لهم » .

مارأيكم إذن فى بيت يسكن فيه رجل وزوجة .. وكرباج ؟!

إنهم يرفضون أن تخرج المرأة إلى العمل ، يرفضون أن تجلس أمام التليفزيون ، أن تقرأ رواية ، أن تفكر وتشارك وتعلن رأيها وتسعى لطموحها .. إنهم ينظرون للمرأة على أنها كائن غير مكتمل النمو يحتاج إلى « حضانة » تمده بالهواء ، والمحاليل حتى يعيش .. أو مخبأ .. أو مدفن .. أو ..

إنها دعوة إلى وأد البنات من جديد .. هذه المرة ليس جسد البنت الذى يواريه التراب لكن أفكارها وثقافتها وحريتها سيواريها التراب والكتب .. والفتاوى :

وأد البنات القديم كان بيد صناديد الجاهلية .. بدون كتب وبدون أشرطة كاسيت ومحاضرات ونصائح إصلاح بيوت .

لكن الوأد الجديد .. أخطر وأفدح .

وأبشع مافيه أنه يحمل صفة الإسلام واسمه ولحيته .



الجنس فى الجنة

« قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو »

١٨٧ الأعراف

سنتحدث عن الجنس !

والكلام عن الجنس – وفيه – كلام مخفى مستتر غامض ، عيب حيناً ، وحرام أحياناً ، وقلة أدب فى كل الأحوال !

لكن الغريب – هذه المرة – أن حديثنا عن الجنس شرعى بل وفقهى أيضاً .

حديثنا عن صراع أئمة واختلاف علماء وتطاحن فتاوى وجدل إسلامى عن الجنس !!

الرجاء الوحيد – الآن – أن تبلغ كثيراً من الخجل ، وتهضم أكبر كمية من الحياء (ويستحسن ألا تندفع فى القراءة) ! على مهلك !! فالموضوع يثير العقل والحرج .. وأشياء أخرى !

فى الجنة سيعيش المسلم الذكر حياة منتصبة على طول ،

بل وفى الجنة يمكن للمسلم الواحد أن يضاجع الحور البكر سبعين مرة .. وفى كل مرة يفض بكارتها – تعود بكراً (فما أحلى البكارة) .

وفى الجنة كذلك يمس أهل الجنة أزواجهم « بذكر لايمل وفرج لايحفى وشهوة لاتنقطع » !!

وفى الجنة تخيلوا – يمكن للشواذ أن يرتاحوا !

القرار رقم ٥٠٠ لسنة ١٩٨٤ الصادر من شيخ الجامع الأزهر

كانت مهمته مناقشة هذا الكلام .

واللجنة التي شكلها الأزهر من شيوخ ثلاث كانت مسئوليتها الموافقة على نشر هذه السطور في كتاب .. أو تأييد مصادرته .

الأزهر من جانبه وافق .

والقضاء بدوره سمح .

والشرطة بمسئوليتها نفذت .

وهذه هي الحكاية ؟

عام ١٩٨٤ صدرت الطبعة الأولى من كتاب « خواطر مسلم في المسألة الجنسية » للكاتب محمد جلال كشك عن دار التراث ، أهدى نسخة من الكتاب إلى صحفي يكبره في السن على حد قوله ، فما كان منه كالعادة سوى إبلاغ الأزهر ، فوشى بالكتاب إلى السلطات التي صادرته وقدمتنا للمحاكمة .

وانتدبت المحكمة لجنة ثلاثية ينتدبهم مجمع البحوث الاسلامية بنفسه وهو المختص بمصادرة ورقابة الكتب في مصر .

وبعدعام كامل .

قررت المحكمة - عقب تقدير اللجنة - الافراج عن الكتاب .

وقد جاء في بند « سادساً » من التقرير تحت عنوان « النتيجة » .

ولما كان قد خلص للجنة من كل ماسلف .

وفى نطاق المهمة التى أسندتها المحكمة الموقرة إليها – عن كتاب « خواطر مسلم فى المسألة الجنسية » بقلم الأستاذ محمد جلال كشك – موضوع الفحص .

١ – إن هذا الكتاب – قد شابته بعض الأخطاء فى نقل بعض النصوص القرآنية – على النحو المبين فى الفقرة الأولى من البند رابعاً من هذا التقرير – ومن ثم ترى اللجنة أن تعرض على المحكمة الموقرة أن تأمر المؤلف باعداد صفحات فى آخر الكتاب بتصويب الآيات القرآنية التى شابتها بعض الأخطاء – مع الإشارة فى أول الكتاب إلى ذلك – قبل تداوله – وذلك إذا أذنت المحكمة الموقرة برفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث ورفضت طلب مصادرته .

٢ – ترى اللجنة – أن الكتاب موضوع الفحص – بعد التصويب المشار إليه فى البند السابق – لا اعتراض عليه من ناحية رفع التحفظ عنه ورفض طلب مصادرته .

هذا .. والله ولى التوفيق .

ثم توقيع د. حسن عبد المجيد هاشم والمستشار السيد عبد العزيز هندى .. وفضيلة الشيخ عطية محمد صقر (وكلهم أعضاء بالمجمع) .

ولكن الكتاب لم يصوب بل أعيد طبعه كلية .

وهاهى الطبعة الثالثة منذ أسابيع .

وهاهى ضجة جديدة حول الكتاب من أعضاء لجان الفتوى بالجامع الأزهر وأساتذته .. وغيرهم كثيرون .

لكن قبل أى مناقشة سنقرأ الكتاب عبر ستة فصول و٢١٤ صفحة يحاول أن يسير وراء فقرة ذكرها الكاتب جلال كشك فى مقدمته يقول : « إذا كان من الخطأ النظر للإنسان كظاهرة جنسية فقط كما يفعل تجار الجنس وفلاسفة الغرب .. فانه لخطأ أكبر أن ينظر للجنس كظاهرة عارضة أو عيب أو دنس لايجوز الاهتمام به ! فليس هذا من ديننا ولامن حضارتنا كما سيرى القارئ .

والمسألة الجنسية تشغل بال الشباب ومع ذلك فهى من المحرمات يحوم حولها الكتاب ولايقتربون منها وبالذات الاسلاميون منهم تاركين لأعداء الاسلام وأعداء حضارتنا الفرصة لينشروا مفاهيمهم ويزرعوا سمومهم فى عقول وقلوب الشباب المسلم الذى لم يعد يعيش لا بسلوك ولا يوجهه فكر اسلامى .

انتهت الفقرة ولكن لم تنته الفكرة فالكاتب يعود لها مرة أخرى وربما عاشرة فى حوار له يقول :

« إنه باختصار أول كتاب فى التاريخ يؤصل كل السلوك الجنسى الرفيع لمصادر إسلامية ، ويثبت تفوق الموقف الاسلامى لا فى حينه بل

وإلى اليوم من المرأة ومن الحياة الزوجية ومن ممارسات الجنس » .

وهذا كلام يصفعه جلال كشك بأقرب كف حين يتناول الفقيه محمد بن حزم صاحب كتاب « طوق الحمامة » وينزل فيه بخرزانة حامية لأن « الكتاب وضعه مؤلفه بناء على طلب صديق كلفه أعزه الله بأن يصنف له رسالة فى صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه ومايقع فيه ، انتهى عصر الاستفتاء فى الصلاة والإيمان والجهاد بل حتى فى الاعتزال والكلام وأصبح يكلفون الكتاب بوضع مؤلفات فى الحب وهناك بالطبع من ألفوا بناء على طلب الجمهور فى أوضاع الجنس .

المدهش إذن أن ينتقد كشك « طوق الحمامة » رغم أن كتابه يتعرض للجنس والحب معاً .

ثم إن كتابه أيضاً لم يمتنع إطلاقاً عن ذكر « أوضاع الجنس » .. و« اللواط » .. و« حب الغلمان » !

الخلاف الواضح – وغير الوحيد – أن ابن حزم كتب الكتاب بناء على طلب ورغبة صديق وكشك لم يفعل ذلك .

الخلاف الآخر أن ابن حزم كان فقيهاً عالماً ، بينما كشك تراجع حتى عن وصف نفسه بالمجتهد!

وهو تراجع حميد .

بالمناسبة نحن نحترم الكتابين ، وإن كنا غارقين الآن مع كتاب كشك !

فى الفصل الأول اللذة للذة تكمن الفكرة فى الآتى « إظهار اللذة وزيادة الاستمتاع بالقول أو الفعل مطلوب ومسموح به دينياً ، سواء بالحديث عن « الملاعبة » أو « مباشرة » .

ويحكى الكتاب .

« ... ورحم الله عائشة بنت طلحة التى نخرت نخرة أثناء وطء زوجها لها فنفر مائة من إبل الصدقة لم تجتمع حتى اليوم ! (علامة التعجب من عند كشك وليست من عندى) ولم يقل – قطعاً – من الذى عدها » .

وقالت امرأة كوفية دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون ، فسمعت زفيراً ونحيراً لم يسمع قط ثم خرجت وجبينها يتفصد عرقا فقلت لها : ماظننت أن حرة تفعل مثل هذا فقالت إن الخيل العتاق تشرب بالصفير .

يأتى هذا كله فى سياق تفرقة الكاتب بين نظرة الغرب للذة والجنس « شعور بالإثم والانحطاط أو الخطأ حتى يومنا هذا وفى ذروة الإباحية الجنسية » وبين نظرة الاسلام للجنس واللذة والمتعة ، ففى الاتصال الجنسى ثواب كيف ؟

قال صلوات الله عليه وسلامه : « وفى بضع أحدكم صدقة » (أى فى الجماع .. فقالوا : أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر .. قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام ، كان عليه فيها وزر ، فكذلك إذا وضعها فى

الحلال كان له أجر » .. وكذلك نهى الرسول عن أن يقع الرجل على امرأته كما تفعل البهائم ، والبهائم بالطبع لاتهتم على الاطلاق بمزاج أنثاها ولا إشباع هذا المزاج وتذكر مثال الكلب ، كذلك أباح الاسلام كافة أوضاع الجماع بلا تحديد ولافرض شرعي ومن ثم فقد يعلو الرجل المرأة أو قد تعلوه هي فلا احساس بمركز أسفل .

وفي الفصلين التاليين – في الكتاب « الموقف من المرأة ، لماذا الزنا ؟ » .. نتوقف عند فقرتين – « الخلفاء والفقهاء أفتوا بأن الرجل إذا شرط مبلغاً من المال أو شيئا ذا قيمة مقابل وطء المرأة فلا حد للزنا ولكنه زواج فقد أعطاها أجرها وهي قبلت ، والفكرة أن الزواج عرض وقبول من طرفين ليس بينهما مانع شرعي قانوني من الزواج وماعدا ذلك فهو طقوس لا أهمية لها .

– وهذا عن جرائم الزنا .. بتعريفنا « أما مادون الوطء فيستحسن التغاضي عنه حتى من قبل السلطة وبعد إبلاغه إليها وخاصة إذا كان من طرف الفاعل ... ولا أظن أن الشباب يتجاوز هذا فيما يحدث في العربات أو أثناء المذاكرة أو حتى في دور السينما أو في خلوة مختلسة سريعة بفعل الرغبة وفورة الشباب والعاطفة .. والله غفور رحيم .

ينتقل محمد جلال كشك إلي منطقة أخرى في الجنس في فصول الكتاب الثلاثة الأخيرة .. فهو مثلاً يتحدث عن « العادة السرية » ويرى

وهو سؤال أو بالأحرى نكتة لا يفهمها من قست قلوبهم إذا كان قد أبيح لنا نكاح ماملكت اليمين فلماذا لا ننكح اليمين ذاتها ؟

ويضيف الستمناء فلم يرد فيه تحريم وأباحه ابن عباس والحسن وبعض كبار التابعين ، وقال الحسن كانوا يفعلونه في المغازى وقال مجاهد « كان من مضى يأمرون شبابهم بالاستمناء .. يستعفون ذلك .

وحكم المرأة مثل حكم الرجل فيه .

ويضيف : انظر كيف كان من مضى أكثر تسامحاً وأكثر فهماً لروح الاسلام وأكثر قدرة على تفهم احتياجات الانسان .

ونحن الآن – مع جلال كشك – عند حكم وطء المرأة من الدبر ، فهو وإن كان من الرأى الذى يستنكره إلا أنه يستعرض وجهات النظر المختلفة ويرى أن أحاديث الوطء في الدبر طعن فى معظمها .. فحديث « أبو هريرة : ملعون من أتى امرأة فى دبرها « ورد فى اسناده ابن مخلد وهو لا يعرف حاله .. وحديث أبى هريرة « من آتى حائضاً أو امرأة فى دبرها أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد فى إسناده أبو تميمة وعنه قال البخارى : لايعرف لأبى تميمة سماع من أبى هريرة وقال البزار « هذا حديث منكر » .

وكفاية !

فقد بدأ الكلام عن « اللواط » الذى يشغل أكثر من ١٣٠ صفحة

وستكتشف خلال هذه الصفحات أن معظم مفكرى الأرض وفلاسفة اليونان - مثلاً - كانوا مجرد شواذ !

ويؤكد كشك رغم أن اللواط من أبشع الخطايا التى يحاسب عليها الاسلام وإن تناول الاختلاف حول حد اللواط إلا أنه يستعرض فى تفاصيل أمينة التراث الأدبى الاسلامى وعلاقته باللواط وكذلك الشذوذ فى الأندلس ولا يترك لدينا أى شك فى شذوذ ضخم يسيطر على عالم المتصوفين .

لكنه يترك كل هذا لما هو أخطر الغلمان المخلدون !

طبعاً آيات كثيرة فى القرآن الكريم تصف الجنة ونعيمها ويأتى فيها ذكر « الولدان المخلدون » ويميل كشك فى وضوح شديد إلى « ولا أظن أن أحداً يستطيع المجادلة فى أن الولدان » هنا هم غلمان وأنهم يعرضون فى مجال التنعيم والتلذذ بجمالهم كجزاء حسن للمؤمنين مثلهم مثل الأباريق والخمر والفاكهة والطير وحور العين كلها للمتعة بما فيها من حسن .. وفى موضع آخر « ليس للغلمان من صفة يتميزون بها على الملائكة فى الخدمة والجمال والتكريم .. إلا أن الملائكة كائنات غير جنسية » .

« ولعل هذا هو سر وعده سبحانه وتعالى للذين يعفون ويكبحون شهواتهم بـ « ولدان مخلدون » واللفظ المختار شديد التوفيق والتعبير أى ولدان خالدى الولدنة أى لا يتجاوزون تلك المرحلة التى تفتن العربى

المصاب بهذا الداء ، بل تثبت الدراسات أنها السن التي تغوى الغالبية العظمي من الذكور الذين سجل لهم ميل لوطي مؤقت فمن قاومها وكبح نفسه عن الفعل فله في الجنة ماشتهي » .

ويضيف كشك « لقد وجدت حديثاً عجيباً نقله الغزالي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة سوقاً مافيها بيع ولاشراء إلا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهي الرجل صورة دخل فيها » .

وهو حديث عجيب معناه أن الرجل أو المرأة كلاهما يستطيع أن يغير صورته أو صورتها إلى نفس النوع ، ولكن أجمل وأبهى وأيضاً أن الرجل الذي يشتهي أن يكون امرأة أو يحس بأحاسيس المرأة ، يستطيع إن كان من أهل الجنة تحقيق رغبته بزيارة هذه السوق والعكس صحيح للمرأة ، فهنيئاً للصابرين والصابرات المتعففين في هذه الدنيا والمتعففات .

ويأتي دور رجال الأزهر - والطريف أنهم يرفضون منطق أن « الولدان المخلدون » للمتعة الجنسية ويرونه كلام شواذ .. لكن - د. محمود عبد المتجلي خليفة عضو لجنة الفتوى بالأزهر « هل هو رئيس لجنة المصادرة التي اجتاحت معرض الكتاب الماضي ؟ » يرى أن اللواط ثابت بالقرآن الكريم وموجود في السنة النبوية وهي أحاديث صحيحة منها « من وجدتموه على اللوطية فاقتلوا الفاعل والمفعول به لكنه - كذلك - في

تحقيق منشور بمجلة حريتى يتفق مع كشك فى أن الجنة حسية وليست روحية وفيها مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويرد على مسألة « الانتصاب الدائم فى الجنة » بأن المسلم إذا أراد أن يباشر الحور العين فى أى وقت كان له ماأراد .. « ويجب أن نفهم أن الذين يعانون من الضعف الجنسى فى الدنيا لن يكونوا كذلك » .. أما الشيخ فرحات إمام مسجد الحسين فيرفض إباحة الاستمناء ويرى أن « أى أمر خلاف الزوجة والجارية فهو حرام » .

لسنا ضد الكتابة عن الجنس – وفيه – كما أننا نرى الدخول إلى عالم نظرة الاسلام ومفاهيمه للجنس وللعلاقة بين الرجل والمرأة ، دخولاً مشروعاً ومحموداً ومطلوباً أحياناً .

وأن فض السرية عنه والاحتدام الشديد مع مشاكلنا .. والجنس يمثل جزءاً أصيلاً فى هذه المشاكل – أمر جرئ يستدعى التحية – وأحياناً التقدير .

لكن كل هذا محل نظر فى كتاب جلال كشك « خواطر مسلم فى المسألة الجنسية » .

كما أنه محل دهشة فى تعليقات وإجابات رجال الدين ، وأساتذة الأزهر .

إن صراع الأئمة حول « شواذ الجنة » وصدام الفقهاء والمتفقهين حول « الوطء من الدبر » يدفعنا إلى الذهول .. وهو أن يتحول الجنس

فى الاسلام إلى مجرد نقاش حول « لذة عائشة بنت طلحة » أو « جواز الأوضاع الذين يمثلون أفضل الثواب وأعظم الأجر للذين كبتوا داخلهم نوازع شذوذهم ولواطهم « طيب والذى لايملك هذه النوازع - هل تتعطل لديه نعمة من نعم الجنة » ثم الأبكار الذين تعود بكارتهم بمجرد أن يفضها مسلم الجنة « وهو تكثيف لعظمة الجنس فى لحظة فض البكارة فقط » أما موضوع الانتصاب الدائم فهو أمر يرضى « العنين » لكنه قد يزعج - قليلاً - الطبيعى المعافى !

هل هذا هو مجرد الجنس فى الاسلام ؟

هل التصور المطروح يبعد كثيراً عن بعض تجاوزات الوقاع الغربى « قرى العراة وحفلات الجنس الجماعى » أو أفلام البرنو - هكذا بصراحة ! كيف لأحد أن ينتصر للاسلام فيقدم لنا هذه الكارثة على اعتبارها جزاءنا فى الجنة .

أيمكن للجنة أن تفرغ من معناها إلى هذا الحد ؟

لا أحد ينكر الجانب الحسى فى الجنة لكنه جانب واحد وغير رئيسى .. بينما الجنة تعنى - لدينا - العدل والرحمة والخير والجمال والتأمل والانشغال بالله والخلود .

لكن أن يقصرها البعض على خلود الجنس !

هل هذا أصلاً الجنس فى الاسلام !!

الحقيقة المفزعة أن كشك وكتابه والأزهر وأساتذته يدخلون بقوة - لاتخلو عند جلال كشك من عنف وحدة وخفة ظل تستدعى - وسط

سخونة الكتاب – الاستشهاد بأغاني ليلى نظمى وشادية « بالمناسبة خلط بين شادية وصباح » ولا يخلو رجال الأزهر من توتر وعمومية وقطعية غريبة .

هؤلاء جميعاً يدخلون فى حمى هذه القضية – بكل تفاصيلها – فى وقت يعيش المسلمون فى أبشع واقع على مر الدنيا .

المسلمون فى الجمهوريات السوفيتية فى حروب أهلية لاينقطع فيها الدم وتساقط الجثث .

ويصير المسلمون فى البوسنة والهرسك بيوغسلافيا سابقاً أدوات مجزرة يومية فيها الدم المسلم الأثير .

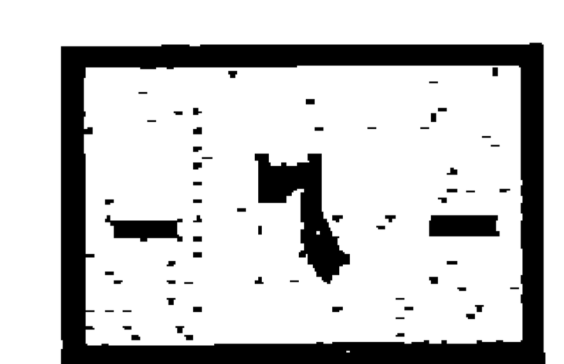
وفى أفغانستان تحول الصراع ضد النظام إلى صراع ضد الأشقاء وهو أمر مرشح للتصاعد والدمار .

أما جوع أطفال العراق .. أما حصار ليبيا .. أما حروب الصومال الأهلية .

أما ترف شيوخ النفط .. أما فيضانات بنجلاديش .. أما مجاعات السودان .. أما ذل المسلمين .

أما ..

كأنها ناقصة .



محاكمة فاتن حمامة

« قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين »

القصص ٨٥

يمكن للمتطرفين أن يرتاحوا ويهنأوا قليلاً ويناموا على السلاح والرصاص وقتاً ، لو أغلقنا على نساء مصر الأبواب بالضبة والمفتاح .. ولو ألغينا التليفزيون .. والفن كله .

سيهدأون .. وسيهدأون أكثر لو سلمناهم الحكم .. لكننا لسنا على استعداد لقفل الأبواب على المرأة .. أو لالغاء الفن .. فما بالك بتسليم الحكم !

كما أنهم لن يهدأوا أبداً !

ماعلاقة كل هذا إذن بعبد الفتاح القصرى ؟

العلاقة حميمة وواسعة .

فالمتطرفون حين يصرخون بأن الفن حرام لايفرقون بين الرقص الشرقي واستعراضات خلع الملابس .. وبين نجيب الريحانى .

بين الأفلام الجنسية القادمة من الأطباق الهوائية .. وبين عبد الفتاح القصرى .

الفن كله على بعضه لديهم حرام ليس فقط .

بل التليفزيون صنم ووثن .. وكفر .

ولأننا نعيش في جاهلية فلابد أن تسقط الأصنام لافرق فى ذلك بين صنم ناشيونال ، أو تليمصر أو حتي صنم جولد ستار !

وثيقتنا هذا الكتاب الذى تعرضنا لبعض فتاواه وفصوله من قبل

كتاب « عودة إلى الاسلام من جديد » للمؤلف أبو مصعب محمد الغريب الذى يعد أهم الكتب السرية المتداولة بين الجماعات المتطرفة كما أنه يشكل نموذجاً لمنهجهم الفكرى وحساباتهم العملية .

ويخص الكتاب التليفزيون بفصل مطول ، من أول نقطة حبر فيه إلى آخره ، وضوح رؤية لا التباس فيها ، أن التليفزيون حرام وكفر وصنم .

يقول :

« قد تتعجب من أول وهلة من تسميته بالوثن أى الصنم الذين كانوا يعبدونه فى الجاهلية ، ولكن سنبين لك - بعون الله عز وجل - الأدلة على أن فيه كفراً وكبائر ومثيرات للشهوات وفلسفة للحرام وإلهاء عن ذكر الله والصلاة ومشابهة للأصنام ، وحينئذ ستعرف أنه لايستحق أن يسمى وثناً فقط بل هو من أكبر الوسائل فى محاربة دين الله ، أكثر بكثير من كل مافعله مشركو العرب الأوائل .. ولئن أعلن أهل الكفر فى الماضى رفضهم التام للقرآن فقد حقق أهل الكفر فى هذه الأيام نفس النتيجة ودون إعلان وماهى النتيجة الحتمية لمن عاش طوال الأربع والعشرين ساعة أسيراً ، أخرس مسلوب الإرادة أمام مايخلب ذهنه وقلبه وعقله وسمعه وبصره ويلهيه عن دين الله ويعمق الشهوات فى باطنه ويثقله عن الطاعة ويجعله لا يستفيق من سكر مايعرض أمامه .. فيتغلغل فى باطنه ماهى النتيجة ؟

لكن قبل أن نفهم من الرجل نتائجه وأحكامه .. ما الذى يدفعه إلى التعامل مع التليفزيون بكل هذه القسوة والضراوة وكأنه التقى بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة بأبى لهب فجأة فى شارع ماسبيرو !

إن أهم أسبابه أن التليفزيون فاسد كما يقول :

(ذلك الجهاز الفاسد ومالحق به حديثاً كالسينما والفيديو) .. وربما هذا ترتيب معرفته بالفن (حيث أن التليفزيون لحق بالسينما وليس العكس)

أما أول من يتحدث عنهم فهى فاتن حمامة ؟! فاتن حمامة ؟

قاسم مشترك فى كثير من أمثلته ودلائله على الكفر الذى بالتليفزيون .. تخيلوا !!

لماذا ؟

لنسمع .. « فى فيلم دعاء الكروان .. قال الممثل أحمد مظهر للممثلة فاتن حمامة : أركع لك ؟ ثم ركع لها وهى جالسة أمامه أفليس الركوع عبادة لله ؟ أليس من وجه العبادة لغير الله يكون مشركاً ولو فعل ذلك مزاحاً كما أجمع العلماء ؟ إذن أليس هذا كفراً » .

لا .. ليس كفراً .

لكن من نحن حتى نرد ، ونرد على ماذا ؟ فلا تزال الجعبة ملأى .. يستكمل الكتاب أدلته .

« وفى مشهد آخر قال له أصحابه لما رأوه ولهاناً بها (روح سبح بجمال السنيورة بتاعتك) وهل التسبيح إلا لله ؟ .. وفى فيلم آخر وهو الخيط الرفيع قال الممثل محمود ياسين لفاتن حمامة { أنا مش إله علشان أقدر أعلن إننى أحبك .. فقالت له : خليك نبى وأعلن دعوتك فهل الحب الذى يقصد به الدعارة عندهم ، أصبح معلنه نبياً » .

إن ذلك يذكرنى - طالما بدأوا الاستعانة بالأفلام ومشاهدها - برشدى أباظة حين أراد أن يعاقب شادية زوجته فى الفيلم على تعنتها وعنادها ورفضها وتعذيبها له ، وقرر اللجوء إلى القوة وفى حمى غضبه قالت له صباح الخير فانتفض صارخاً يصفع وجهها قائلاً : وكمان بتقولى صباح الخير .

إنهم يدفعوننا دفعاً إلى التسطح .

فهاهم - المتطرفون - ينظرون إلى المجتمع نظرة غضب وحقد وتمرد ورفض مدفوعين من الفقر والبطالة والتعصب « والأمراض النفسية لامانع » فاذا بهم أول مايتجهون إلى الفن فيصرخون فينا - وكمان بتغنوا وبتضحكوا أو بتتكلموا طيب خذوا .. وهات ياصفع .. وقتل !

إنهم يجلسون أمام الأفلام ويجمعون من التفاصيل الصغيرة الهشة لمجرد حشو فتاواهم بأمثلة والسعى وراء فهم غليظ خشن ضيق للفن والدين معاً .. والدليل الأمثلة القادمة أيضاً .. يقول :

« وفى فيلم السكرية وجدنا أحدهم يمثل شخصية شاب متدين ولكن أراد المؤلف أن يظهره فى شخصية مريض نفسى فيصوره لنا ملتحياً ويحضر الدرس فى المسجد ثم يعود إلى منزله فتثيره بنت الجيران فيسعى لتقبيلها وهذا مشهد أول .. ثم يذهب ليخطب ابنة راقصة سابقة فيأتى ليقبلها فتقول له : ذقنك بتشوكنى فيقول لها : سأحلقها لك .. أفليس هذا قمة السخرية على من يطلقون اللحية تديناً وتشبهاً بالنبى صلى الله عليه وسلم وأليس هذا سخرية من الشخصية الدينية وبياناً لكونها شخصية مريضة نفسياً وهل يجرؤ أحد من هؤلاء أن يسخر بقسيس ويظهره للناس هكذا ؟ بالطبع لا : لأنه حينئذ ستنقلب الدنيا وسيقول الجميع إن المؤلف والمخرج والممثلين والمصورين أرادوا تشويه صورة رجال الدين النصرانى أما رجل الدين الاسلامى فليس باشكال أن يستهزئ به من يستهزئ وألفت نظرك لأمر بسيط وهو أن من قام بهذا الدور هو شخص كان متخصصاً فى تقديم البرامج الدينية وهو المسمى « عبد الرحمن على » حتى حس الناس أن حقيقته رجل دين وليس فقط مثلاً .

وإذا كان المتطرفون حريصين إلى هذا الحد على تتبع وتربص وترصد الفن ، وإذا كانوا يريدون باخلاص واهتمام وتفان أن يلعنوا التليفزيون ويجعلوه صنماً يعبد من دون الله ، أفلم يكن أولى بهم أن يتقنوا عملهم فالله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .

فهم لم يشاهدوا أفلاماً بما فيه الكفاية .. فاذا شاهدوا أو حتى سألوا ، سيكتشفون أن أفلاماً مصرية كثيرة جداً يتوب اللص والقاتل بمجرد أن يسمع آذان الصلاة هكذا مباشرة وبلا تردد ، وكأنه لم يكن قد سمع الآذان نفسه من قبل آلاف المرات ؟ أليس هذا خيراً !!

وإذا ركزوا فى الفن قليلاً .. وهذا الوقت لن يضيع هدراً فانهم - فيه - يخدمون الاسلام - سيعرفون أن أهم الأفلام المصرية قدمت شخصية الشيخ على أحسن صورة .. فى صفاء وتدين ونقاء وطهر مثالى ولا أخشى منهم حين أقول صفاء ملائكياً وليرجعوا إلى ذاكرتهم قبل احترافهم التطرف وليفكروا فى أفلام « جعلونى مجرماً » .. « اللص والكلاب » .. « بين القصرين » .. « غرباء » .. وعشرات غيرها .

وإذا كانوا لا يتحدثون إلا فيما يعرفونه ولايجتهدون عن خطأ بين فيتهمون الناس ويروعون المبدعين لعرفوا أن أفلاماً أجنبية لاتعد ولاتحصى استهزأت بكافة الصور برجل الدين المسيحى (هكذا حتى تطمئنوا وتنسوا حكاية المؤامرة عليكم) بل وإن المذيع عبد الرحمن على نفسه ، قد مثل فى أفلام دينية وفى أدوار إسلامية بحتة (بمقاييس المتطرفين فقط) وعليكم بفيلم « فجر الاسلام » كما أنه تخصص فى البرامج الدينية .

بعد فيلم السكرية بكثير (لكنكم لاتعرفون شيئاً) .

ثم ماالضرر فى أن يتزوج رجل متدين ملتح - كما فى الفيلم -

من ابنة راقصة سابقة طالما تابت ، ولكم فى شمس البارودى نموذج واضح .

هذه الوقفة مع أمثلتهم الأولى كانت للتصحيح وليس للرد .

أما الآن فلازلنا مع أدلتهم .. قال :

ومن ذلك أيضاً مما يشبهه مسلسل يسمى « الأفيال » وهو أيضاً يبرز نفس الشخصية الاسلامية كشخصية مريضة نفسياً وأنه تدين للهروب من الواقع وتعبير عن الفشل فى الحياة ، ومن ذلك قول عبد الفتاح القصرى لفاتن حمامة في أحد الأفلام يدعوها للزواج فى شقته بأعلى فيقول لها على شقته : فيها مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، أليس هذا وصف الجنة على لسان النبى صلى الله عليه وسلم فهل يصح إيراده فى هذا السياق ، ومن ذلك أيضاً أن كثيراً من هؤلاء الممثلين أو المغنين – يقول لمن يحبها .. أنا أعبدك فهل العبادة إلا لله ؟ وهل يصح التعبير عن ذلك الحب المزعوم هكذا ، ومن ذلك وصف الممثل سمير صبرى للملوخية في أحد أفلامه بأنها ولا التى فى الجنة إرضاء لامرأة يهواها ، ومن ذلك أن بعضهم فى الأفلام يقول على الحال الجميلة التى يعيش فيها مع محبوبته « إحنا فى الدنيا ولا فى الجنة » وهكذا .

وهو مبدأ خطير تسعى إليه كل الأجهزة الإعلامية وليست الأفلام والمسلسلات فقط .. يمضى فى تبريرات يقرأها جميع طلبة كلية الاعلام

على أنها بعض الآثار الجانبية للتليفزيون من المهم تفاديها أو السعى إلى احتوائها ، ولم يقل أحد مثل ماقاله - ويقوله - المتطرفون .

أصبحت الجنة عندهم هى الحب المحرم الذى يعيشونه ومن ذلك فى الأغانى الكلمات الآتية (وادخل جهنم واتشوى وادخل والقح جنتى) إلخ .

هذا هو الكفر الذى يتحدثون عنه .. وسيتندون إليه .. ويطلقونه على أكتاف الناس .

وهو فهم مختلط وضبابى ومشوه فى الوقت نفسه ، فهذا هو الشاب المتطرف الذى يتمرد على أهله وناسه ومجتمعه فى مسلسل الأفيال ، إذا به الشخصية الاسلامية .. وإذا بعبد الفتاح القصرى ممثل يتهكم على الجنة ، ونجيب الريحانى يدخل جهنم لأجل امرأة .

نزع سخيف للأمور من سياقها ، فاذا كان الله سبحانه وتعالى قد ذكر الجنة فى القرآن الكريم فى بعض المواقع على أنها حديقة ، فلم لا تكون سوى الجنة المقصودة عندهم .

ولماذ يسحب هؤلاء - والمفروض أن حسهم باللغة وبلاغتها وجماليتها راق فهم يقرأون القرآن ويتلونه - لماذا يسحبون أهمية التشبيهات البلاغية والاستعارات اللغوية من دورها الحقيقى إلى تشويهها الكامل فى مضمار الكفر والعصيان !

ثم يخوض الكتاب فى أسباب « صنم » و« وثنية » التليفزيون إلى أن يفلسف الحرام .

ويطالب الكتاب وزير الاعلام شخصياً بشراء أجهزة تشويش حديثة لمواجهة البث الاعلامى الآتى من الغرب ، وفضلاً عن أن ذلك محض بلاهة علمية وعملية ، إلا أنه يدعو إلى فك قوات الأمن المركزى وتوجيهها إلى حل أزمة المواصلات .. كنموذج لحل المشاكل المالية للحكومة .

ويعود الكتاب إلى تقديم ١٥ سبباً لخطورة التليفزيون فى فلسفة الحرام ، لكن مانتوقف عنده هو السبب الخامس عشر (الذين يدعون إلى قناة تليفزيونية دينية عليهم التمهل فى قراءة السطور القادمة) . يقول السبب رقم ١٥ :

« وأما البرامج الدينية فهى مملة ومفرغة ، أى معظمها يدور حول قضايا تافهة أو متحاملة على الدين الحق باسم مناقشة الارهاب كما تعانى من سوء الاخراج وتكرار القضايا مع عرض الدين بصورة ناقصة محرفة .. إن هذه البرامج يكفى أن قبلها موسيقى وبعدها موسيقى (مزمار الشيطان) وتقدمها غالباً امرأة صنعت فى نفسها الأعاجيب حتى تفتن الناس وتلقى إعجابهم .. فان هذه البرامج ليست برامج الدين الحق ويكفى أنها لو قالت حقاً فلا تنقد شيئاً من الباطل الموجود ، فان الذين يقدمونها هم موظفو السلطان فى صورة علماء ،

كل همهم هو توظيف الدين لخدمة القومية والإتيان بالشبهات لإبقاء الوضع على ماهو عليه والرد على التطرف من وجهة نظرهم وكأن المجتمع كثرت فيه ظاهرة التطرف حتى أصبحت خطراً قومياً ، لكن فى المقابل لم تظهر فيه ظاهرة ترك الصلاة وسب الدين وعبادة الأضرحة والتبرج الفاحش واتخاذ الغرب ومفاهيمه أسوة » .

يبدو أن هذا الكلام على قدر من الهشاشة الغريبة ، فالبرامج الدينية فى التليفزيون لاترضيهم ، كما أنها لو أرضتهم فهى لاتناقش أمور الدين الحقيقي ، ومناقشة الدين الحقيقى هى سب الدين والتبرج والأضرحة .

والموسيقى مزمار الشيطان .

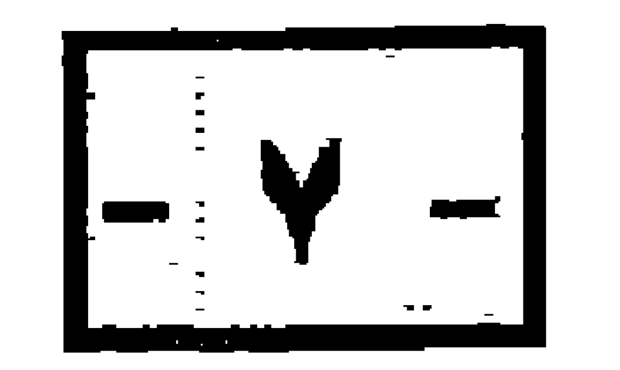
والشيطان فى التليفزيون .

والتليفزيون صنم .

والصنم كفر .

والرضا بالكفر كفر كما يقولون :

وكما يقتلون !



التطرف على الرصيف

« إن ربى بما تعملون محيط »

هود – ٩٢

يعرف الكثيرون أن هناك مناظرة شهيرة بين شيخ مسلم وقس مسيحى .

ويعرف البعض أنها توزع على شرائط فيديو .

ويعرف القليل أنها تباع فى شرائط كاسيت .

ولايعرف أحد أن هناك نوعين من هذه الشرائط .

نوع ينتصر فيه الشيخ المسلم يباع للمسلمين .

ونوع ينتصر فيه القس المسيحى يباع للمسيحيين .

هل تريد أن تتعرف شخصياً على د. عمر عبد الرحمن زعيم تنظيم الجهاد ؟

يمكننى أن أدبر لك لقاء عاجلاً وطويلاً فى ميدان العتبة .

فقط احضر معك ٢٧٥ قرشاً .

ويمكنك أيضاً أن تلتقى - دون أى معاونة منى - بالشيخ عبد الحميد كشك وشيخ الاسكندرية المعروف وجدى غنيم .. والشيخ محمد حسان .. وغيرهم من مشايخ ربما لاتعرفهم !

لم تعلن سلطات الأمن المصرية بعد أى غزوة قامت بها على أفراد وأماكن الجماعات المتطرفة أو على مقار تنظيم الجهاد وفروعه ومخابئه عن ضبط أية ماكينة تسجيل شرائط كاسيت .

هل يعنى ذلك أن تنظيم الجهاد - وغيره ممن يحملون فكره - لايعطى أهمية لشرائط الكاسيت ؟

إن الأمر لايعنى ذلك على الإطلاق .

بينما تجرى - فى خطوات منتظمة مثيرة ودامية - عملية الترويج للفكر المتطرف بالبنادق والكتب والحروب الصغيرة والنقابات والتغلغل فى الأحزاب - والسيطرة على بعضها - والصعود إلى التليفزيون يلعب الكاسيت دوره المحدد .

الدور فقط مع البسطاء والفقراء والصبية والشباب .

لم يعد الشيخ كشك وحده سيد هذا العالم الخلقى - أو التحتى - فى دنيا الكاسيت الدينية .. فهو أول الذين ابتدعوا فكرة الإسلام الصوتى .. التحريض والسب والتفنيد واللعن الشرح للإسلام على طريقته من خلال منبر عال مسجد بالقاهرة .. ومن خلال التغلغل الشخصى لخطبه عبر شرائط الكاسيت (حيث كانت فى مطلع انتشارها فى السبعينات ومع دخول القوى للمال النفطى فى مصر) أصبح كشك نجماً دينياً عبر سيارات الأجرة على الطريق الزراعى .

ثم جاءت الثورة الإيرانية (٧٩) لتفرض كل انينها على المعجبين بها والسائرين على هداها ، ومع القوانين الأدوات كذلك .

وكانت أداة شريط الكاسيت الذى يسرب من العراق - ثم من

باريس - إلى طهران حاملاً صوت الله الخومينى هو الطريق السالك لعبور الثورة .

فانتبه الجميع هنا فى مصر إلى ضرورة الكاسيت .

كان الانتباه سريعاً أما الاهتمام فأقل سرعة لكن آخرين تطوعوا للقفز بالفكرة .

إنهم مجموعة « الطفيلية الدينية » - وهو لا أحد مسئول عنه غيرى - الذين التقطوا فكرة التطرف أو الإسلام السياسى وانخرطوا فى الفرق والجماعات لكن هدفهم الأساسى إلى الربح عن هذا الطريق .

وبدأ سوق المسجد !

وسوق المسجد - ليس أكثر من آلاف الكتب الدينية التراثية (المترمتة قطعاً والسائرة فى طريق عذاب القبر ونعيمه .. أهوال يوم القيامة) وكذلك مئات من « كراتين السواك ، والعطور البدائية الغريبة » مع إضفاء قداسة هشة المنبت عليها والبخور بأنواعه ثم تطور الأمر أمام مساجد العتبة وأحياء بعينها لتصبح ضمن سوق المسجد الجلاليب البيضاء ، ملابس داخلية كذلك) ثم .. شرائط الكاسيت .

وقد بدأت بشرائط تلاوة القرآن الكريم المسجلة والعادية (مرخصة ومجازة من الأزهر) ثم انتقلوا إلى شرائط تلاوة - على هواهم - ثم خطب الجمعة ومحاضرات وندوات الشيوخ والمناظرات الدينية التى

تعزف (وهو لفظ لايناسب نفورهم من الموسيقى) على قضية الإسلام والمسيحية مع دفعات لاتنقطع من الأناشيد الدينية .

وقد ساهم في ذيوع الزمر وانتشار الظاهرة هذه الحمى القادمة من بلاد الخليج والسعودية المسماة بشرائط الكاسيت الدينية (أحد الشرائط الواردة من السعودية تذيع صوتاً في مقدمته يعلن أن ترتيب هذا الشريط هو ٧٩٥٨ من تسجيلات التقوى) .

صار سهلاً إذن عرض شرائط الكاسيت أمام المساجد في القاهرة والإسكندرية والسويس وغيرها من المناطق الناعسة في حضن الدلتا والصعيد .. تباع الشرائط وقد تكفي دولة واحدة وسط مدينة القاهرة لترى مئات الشرائط أمام مساجد رمسيس وغمرة والعتبة والأوبرا وحدائق الأزبكية .. أحد مساجد العتبة في مدخله عربة خشبية تحمل أكثر من ألفي شريط كاسيت (للشيخ كشك وحده حسب الأرقام التي أدلى بها الباعة لي والمكتوبة كذلك على أغلفة الكاسيت .. له ٤٢٥ شريطاً تتضمن خطبه) .

وبالمناسبة فالأغلفة عبارة عن ورقة كرتونية تتخذ ألواناً متعددة تحمل إما بخط مطبوع أو خط اليد بعض أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم حول الفقه في الدين وطريق العلماء ورثة الأنبياء وهي أحاديث موجودة على أغلفة معظم الأشرطة .

ويقول أحد الباعة - وهو غير ملتح وشاب لايتجاوز العشرين من عمره - رداً على سؤال حول الشركة المنتجة لهذه الشرائط .

– يابيه دى شرائط ممنوعة !

هكذا ..

ويضيف آخر « بائع شاب ملتح » غضب جداً عندما سأله أحد العابرين شريطاً للمطربة وردة .. فقال له :

– ياراجل ميز .. إحنا برضه بتوع حرام .

فرد عليه الزبون متردداً ومأخوذاً :

– أنا أصلى جايبه لأختى .

– أختك كمان .. تسمعها المعصية .. تعال اسمع شرائط الإسلام والأخوة .

المهم أن إضافة البائع كانت ذات أهمية ودلالة إذ قال أبيع حوالى ٢٠٠ شريط كل يوم .. وأذهب كل يوم إلى بائع الجملة (أمام مسجد الجمعية الشرعية بشارع الجلاء) وآخذ منه شرائط بـ ٢٥٠ جنيهاً .

وهو يوصى بسماع شريط « وفاة الرسول » .. للشيخ محمد حسان (وهو إمام مسجد بالسويس) حيث لايمكن أن تمنع نفسك من البكاء عند سماعه .. أما الشرائط الأخرى فكلها موجودة وتحت أمرك ياأخى !

لكن الأمر لله !

وأهم زبائن هذه الشرائط إلى جانب أفراد الجماعات الإسلامية وأنصارهم هم سائق الميكروباس وخاصة السيارات العاملة بالمحافظات .. كذلك أعلى نسبة شراء حسب تأكيد بائع العتبة – من نصيب الريفيين .. كما أن الريف أكثر المناطق بيعاً وشراء وانتشاراً لهذه الشرائط كذلك فان المدن الجامعية للبنات فتشمل حضوراً كثيفاً لشرائط النقاب أما أوساط الطلاب فأكثرها عن تكفير المجتمع .

أما أعلى الشرائط توزيعاً بدون منافس فهي :

– اعترفات قسيس (ثلاثة أجزاء) .

– كنت نصرانياً .

– حوار مع نصراني .

أظن أن المسألة صارت واضحة .

هذا بالإضافة إلى قائمة طويلة من الشرائط الموجهة للمرأة وعنها وهي قسم واسع الأهمية في هذا العالم .. ثم شرائط النقاب والحجاب واللحية والمعاشرة والجهاد والدولة الفلسطينية والحكومة المصرية و ...

أين الأزهر ؟

ومادخل الأزهر في هذا الموضوع ؟

الحقيقة أن أي شرائط دينية لاتخضع للرقابة على المصنفات

الفنية وإنما مسئوليتها - كاملة - تقع على مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الذى يمنح لهذه الشرائط رخصتها .

وقد منح الأزهر بعضها بالفعل رخصاً .

هكذا يؤكد إبراهيم الطبلاوى - صاحب شركة كاسيت - أنتجت خطبتين للشيخ محمد حسان وأنزلتهما السوق بالفعل حاملة لأرقام ترخيص الأزهر ، لكن بعد أيام كانت الشرائط مزورة وموجودة - بنفس أرقام الترخيص - أمام المساجد .

لم يبلغ إبراهيم الطبلاوى أحداً .. ولم يمنع أمراً .. فهذا قائم ومستمر فى دنيا الكاسيت ، لكنه يرى أن المسئولين هم أصحاب ماكينات طبع الشرائط الذين يوزعونها الباعة أمام المساجد .

من هم ؟

- لا أعرف .

لكن هل تعرف الأشرطة ؟

هذه المرة أسأل العميد أحمد فولى رئيس مباحث شرطة المصنفات الفنية .. وهذه هى إجابته :

- الشرائط التى تروج لبعض الأفكار المتطرفة والهدامة موجودة فعلاً ونحن نضبطها .. لكن لاأستطيع أن أقارنها بالشرائط الهابطة مثلاً .

وقد ضبطنا العام الماضى ٧٠ر٤٠٦ شريط كاسيت غير مرخص وحتى مايو ١٩٩٢ ضبطنا ٢٦ر١٤٤ شريط (ولاتوجد إحصاءات خاصة بالشرائط المتطرفة) .

لكننى لاأعتقد أن الأمر بهذه الخطورة - الكلام للعميد أحمد فولى - وأنه لايشكل ظاهرة عنيفة كما تظن .

وحتى نقطع الظن والزن .. لنسمع معاً ماذا تقول هذه الشرائط ؟

خطب الشيخ عمر عبد الرحمن زعيم تنظيم الجهاد المتوافرة على شرائط كاسيت تتميز بالاهتمام الشديد بقضية (الحاكمية لله) وتتوجه ضد نظام الحكم وتطالب فى حتمية وقطعية مطمئنة بسقوط هذه الحضارة بكل أنوارها كلمة تسيطر على معظم تفسير (عبد الرحمن لسورة الكهف تحديداً) وصوته فيه خشونة ونبرة صوت أجش لكنه ليس زاعقاً إلى حد كبير ويغلف كلماته بأداء خاشع ومنطق صراخ أقل كثيراً من الشرائط الأخرى .. وفى شريط - بعنوان « تفسير سورة الكهف » يقول عم عبد الرحمن فيما يشبه بياناً رسمياً لتنظيمه وأفكاره ودعوة واضحة إليها .

الحكم لله وحده وأن التشريع له وحده سبحانه وتعالى .. لايصح أن نعطى التشريع لهيئة ولا لحزب ولا لمجلس ولا لفرد ولا لجماعة .. فاذا ماأعطينا هذه الهيئة والجماعة أمر التشريع والحكم فقد كفرنا بالله وأشركنا مع الله إلهاً آخر .

فى خطبته نفسها يربط بين حال أهل الكهف الذين اعتزلوا مجتمعهم الكافر وبين من وصفهم بالموحدين بالله .

ونحن والحمد لله قد ذقنا كل هذا .. قد قوانا الله وصبرنا .. إنهم بذلوا كل جهدهم بتعذيب الموحدين بالله .. عذبونا .. المسلمين المؤمنين القانتين ، المسلمين الموحدين وأنزلوا عليهم صنوف العذاب ، عذبونا بكل مايتصورون من ألوان العذاب ، وخرج الكثير عنده من الأمراض المزمنة ، شللاً ومرضاً وماأصاب جسمه لكن لايمكن أن نتخلى عن الدعوة لله ، لأنه طريق رسل الله ، طريق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ويضيف مشيراً إلى حادث القبض على الفنان بيكار فى نفس توقيت وجود د. عمر بالسجن .

« يعذبون المسلمين المؤمنين على حين يكرمون الكفرة المرتدين ، يكرمون بيكار المرتد البهائى الذى يجعل مع الله إلهاً آخر ويتخذ مع الرسول رسولاً آخر ويجعل مع القرآن كتاباً آخر هكذا يكرم بدلاً من أن يقتل » .

هذه عينة لشرائط د. عمر .. والعينة بينة .

وفى الوقت نفسه انفتح الباب أمام شيوخ الخليج .. وهذا هو الشيخ عبد الرحيم الطحان « سعود » فى خطبة لمدة ٩٠ دقيقة باكية ومؤثرة وقاطعة وحازمة لايسمح فيها بذرة شك فى كلامه .. وتنتقل ثقته

العظيمة فى كلامه وأن الحق حليفه ومؤيده وأنه كلام الله دون نقاش .. تنتقل إلى التسفيه من كل الآراء الأخرى بقى أن تعرف أن الخطبة عنوانها « تحريم حلق اللحية » يقول فيها :

« إذا أخذ الرجل لحيته كلها عن طريق الحلق أو القص كثيراً يشبه الحلق بحيث تبدى البشرة وتظهر من خلال الشعيرات القليلة وإذا حلقت المرأة شعر رأسها أو قصته قصاً كثيراً يشبه الحلق .. فكل من الصنفين فى هذه الحالة ملعون وفاسق ومرتكب لكبيرة من الكبائر ، إنما الجهل بهذه الشعيرة صار بين المسلمين فى هذا الوقت فاشياً وأكثر الناس يحلقون لحاهم ولايعلمون أنهم يفعلون كبيرة وأنهم بذلك فاسقون.

ويدعو الطحان إلى زينة المرأة المسلمة وهى « الحناء » فى الكفين والقدمين .. ويؤكد أنه الزينة التى كانت تعرف بها المسلمة فى الأندلس .. وينتقد المانكير ويرى أن حتى البدويات اللاتى لايفهمن ولايقرأن يفضلن المانكير على الأظافر .

وبعد أن يستغفر الله طويلاً لهذا يدعو « يا أمة الله » اتق الله فى نفسك ولاتظهرى فى صورة أفرنجية ملعونة .

ويختم صارخاً طائحاً :

– حرام .. لايجوز للرجل أن يفعل هذا بنفسه ولايجوز أن تفعل المرأة هذا بنفسها ، وإذا فعل أحد الصنفين ذلك بنفسه فهو فاسق

مردود الشهادة لاتقبل روايته إذا تحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم

ولاحظ أن كل هذا من أجل حلق اللحية ووضع المانكير والاستغناء عن الحناء .

لن نعلق .. فقط سنسمع آخر .

وهو الشيخ محمد حسان الذى يخصص خطبة (٩٠ ددقيقة) فى الرد على من يحرم النقاب ورغم أن الشيخ حسان من السويس إلا أن أداءه الصوتى يشبه كثيراً الأداء الخليجى (فى مخارج الألفاظ وإيقاع الكلمات وطريقة الصراخ والغضب) فضلاً عن استعانته بسيل لاينقطع من شواهد السنة والقرآن .. الأمر الذى يجعل موقفه - فى حالة عدم النقاش - قوياً أمام مستمعيه .

أيتها الأخت الفاضلة الصابرة ، لقد علم أعداء ديننا أن المرأة المسلمة من أعظم أسباب القوة فى المجتمع الإسلامى فراحوا يخططون لها فى الليل والنهار لشل حركتها والزج بها فى مواقع الفتنة وأعلنوها صريحة فى هذه المقولة الخطيرة قال أحدهم .. كأس وغانية يفعلون فى الأمة الإسلامية أكثر مما يفعله ألف مدفع .

ويضيف .. هل يثير النقاب هذه البغضاء الكامنة فى نفوس هؤلاء لماذا لايطيقون رؤية النقاب .. لماذا يعلنون الحرب على الستر والعفاف

.. لماذا لاتكون هذه الحرب الهوجاء على التبرج والعرى والعهر والفجر والإباحية والعربدة تحت ستار التطور والتدين المبغض الأسود لماذا لاتكون هذه الحرب الشعواء على المتبرجات على الكاسيات العاريات .. على المائلات اللاتى ينبتن سموم الفتنة فى قلوب الرجال والشباب فى الليل والنهار .. ويمضى نحو التأكيد على أن النقاب هو الثابت ديناً وشرعاً وأن الحجاب ليس هو لباس المرأة وأن المرأة كلها عورة إلا عينها اليسرى فقط وهذه أدلته .

يقول والدنا الكريم وشيخنا الحبيب الشيخ بن باز حفظه الله .. يقول أمر الله والأمر صيغة من صيغ الوجوب - سبحانه جميع نساء المؤمنين يدنين بجلالبيهن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك حتى يعرفن بالعفة ، فالشيخ يقول بوجوب النقاب ، وقال الشيخ المودودى « الآية قل لأزواجك » نزلت خاصة فى ستر الوجه ومعنى الآية بالحرف أن يرخين جلاليب من خمورهن أو ثيابهن على أنفسهن .. ثم يقول وأن الوجه هو المظهر الأكبر للجمال الخلقى والطبيعى فى الإنسان فهو أكثر مفاتن الجمال الإنسانى جذباً للأنظار واشتهواء للنزعات ثم يقول وهو العامل الأقوى للجاذبية الجنسية بين الصنفين ويقول شيخنا الحبيب ابن تيمية دلت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله والنظر الصحيح والاعتبار والميزان على أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عن الرجال الأجانب الذين ليسوا من محارمها ثم يقول وإذا تأمل العاقل

المؤمن هذه الشريعة وحكمها وأسرارها تبين أنه لايمكن أن تلزم الشريعة المرأة بستر الرأس والعنق والذراع والساق والقدم ثم تبيح للمرأة أن تخرج كفيها ووجها المملوءة جمالاً وحسناً فهذا كلام يخالف الحكمة .

الحكمة !!

وهذا أيضاً مايذهب إليه الشيخ وجدى غنيم (الاسكندرية) وهو من نفس الفصيل الصوتى الرفيع السريع الحاد لكن جزءاً من خطبه فيه عامية وأمثلة يومية تقترب من مدرسة الشيخ كشك الخطابية .. وهنا يتحدث فى خطبه عن سلوك الأخت المسلمة ، فينتقد حجاب الموضة .

إيه حجاب نفرتيتى ده .. ياستى ودنك عورة مفروض متبنش بعدين النهاردة الطرحة اللى بتتحط والحجاب المتخنصر بالحزام إيه اللى عملاه ده ، تشفط فى صدرها وفى بطنها محزمة نفسها ، افرضى روحك طلعت فطستى وانت محزمة نفسك ، تموتى فى سبيل إيه .

أعداء الإسلام قال مطلعين قرار ممنوع دخول الأخت المنقبة الجامعة لا إله إلا الله ، طيب منقبة غطت وشها متدخلش الجامعة ليه ، أما تتعرى هى رايحة تدرس وتتعلم ولارايحة كباريه ولاملهى ليلى متدخلش منقبة حسبنا الله ونعم الوكيل .

والجانب الخاص بالعلاقة بين الأزواج والزوجات لايخلو منه شريط فى هذا المجال ، حتى وصل الأمر كذلك إلى مناقشة الشذوذ الجنسى

فى خطبة تفسير سورة « لوط » للشيخ عبد الله الدوسرى ، وقد استمعنا إليها كاملة لكن لاداعى لأى اقتباس وللدلالة فقط عن فحواها التفصيلى فان الشيخ يذكر مثالاً أن أحد الأئمة كان يستحم عارياً حين دخل عليه « أمرد » فنادى وصرخ أن أبعدوه عنى مخافة أن يغويه ويغريه فيجامعه .. وقال - أى الإمام إياه - إن المرأة يصحبها شيطان واحد أما الأمرد فيصحبه عشرون شيطاناً .

ولاداعى لأى كلام آخر .

فنحن ندخل الآن المنطقة الملغمة .

بعد تكفير المجتمع وتكفير حالق اللحية وواضعة المانكير وفرض النقاب بدلاً من الحجاب والطعن فى المجتمع كله لم يبق إلا العلاقة بين المسلمين والمسيحيين حتى يفجرونها تفجيراً .

إن أخطر « اسفين » للعلاقة بين المسلمين والمسيحيين يأتى من هذه الشرائط وأهمها :

- فوزى سمعان السيسى مواطن مسيحى تحول إلى الإسلام وصار اسمه فوزى المهدى كالعادة - ولاستكمال الأمر فانه يتحول إلى الخطابة التى تتركز أساساً على تجربته فى المسيحية ثم كشفها - على حد قوله - ويتضح من ساعة الشريط الزمنية أنه من قرية بأسيوط وأنه كان معداً للخدمة فى الكنيسة هناك ويبدأ شريطه « هناك بعض الناس

يقولون إن من النصارى من يتحلون بأخلاق طيبة أفضل من المسلمين ، كلا وألف كلا أن هذه خطة أساسها الخبث حتى يظهروا فى مظهر أحسن من المسلمين » .

وبنفس المنطق المهترئ يواصل فوزى المهدى « سمعان سابقاً » حديثه فى غلظة وتجرأ ممعناً فى الغرابة وهو يتكلم عن أسرار الكنيسة السبعة ويتهم النساء اللاتى يذهبن إلى الاعتراف بأبشع التهم مشاركين القسيسين فى ذلك .

ثم يحكى أمجاده فى الجدل مع المسيحيين وأنه مادخل فى حوار معهم إلا أفحمهم لكنه - فى التدليل على ذلك - يسرد قصة دخوله إلى المدارس الإبتدائية بالصعيد ومناقشته لطلاب الصف السادس الإبتدائى فى قضية التثليث فى المسيحية وكيف أقنعهم .. ثم تحاشيه للحديث مع مدرى مسيحى لأنه كان مجادلاً .

من الذى أدخل هذا الرجل مدرسة وبهذه الجرأة الوقحة يبلبل ويطعن ويمزق الأطفال وبراءتهم ؟

ولايمنع الأمر أيضاً فوزى المهدى على مدى تسعين دقيقة - مدة الشريط - فى اتهام البابا شنودة بتسليط الجن على المسلمين .

وهاهو الشريط يحمل عنوان « حوار مع نصرانى » للشيخ أحمد القطان - من شيوخ الكويت المعروفين - يحكى فى محاضرته عن لقاء

بأستاذ مسيحى فى علم الأديان فى الطائرة المتجهة إلى أمريكا وكيف عرض القطان عليه المناظرة والأسئلة فى المسيحية والإسلام لتسلية الوقت (عبر ترجمة صديقه الكويتى خلف فالقطان لايعرف الإنجليزية) ثم قرر القطان أن ينقل لنا انتصاره وكيف قضى على فكر الأستاذ المسيحى حين أقنعه أن طبيعة الخالق لاتلتقى مع طبيعة المخلوق .. ثم حديث طويل سقيم وممل ومردود عليه حول العقيدتين .. وطبعاً ينتصر القطان - فهو الذى يحكي وهو حر - ويتلقى الحاضرون الأمر بالضحك والتصفيق والتهليل .. ثم يعود القطان ليصف البروفسير الذى انتصر عليه بأنه « جاهل .. ونصاب .. ومحتال .. وغشاش .. يخدع البشرية وأهل دينه » .

وينهى حكايته بقوله « وماتركته حتى تجرد تماماً وتعرى » .

ثم كارثة أخرى لتلغيم العلاقة بين المصريين مسلمين ومسيحيين مما تشكل مجزرة حقيقية للوحدة الوطنية وللشعار العظيم « الدين لله والوطن للجميع » .

فالشيخ وجدى غنيم يختم أحد أشرطته بأسئلة قادمة له من المصلين .. يسأله أحدهم « لى صديق مسيحى هل أبقى على صداقتى أم أخفف منها أو أنهى الصداقة بينى وبينه ؟ » .

يجيبه :

- ياأخى الله يكرمك صادق المسلم شأن يعينك على طاعة الله ..
والكافـر غيـر المسلم ، ياراجل سبحـان الله دا الى بيـشـتم أبوك وأمك
بتزعل منه أمال اللى بيشتم الهك ورسولك والله عز وجل قال « يا أيها
الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء » يعنى محبين وأصدقاء
لكم .. هو فى حـاله واحنا مـالناش دعـوه ، ده على الأقل ممنوع تلقى
السلام على كافر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كفاية .



الخنجر والعمامة

« قم فأنذر »

سورة المدثر آية ٢

د. عبد العزيز غفار هو قاتل د. فرج فودة .. وإذا لم يكن قاتل فرج فودة فهو محامى قاتل فرج فودة وإذا لم يكن محامى قاتل فودة فهو الشاهد الأول الذى سيطلبه المحامى فى قضية فرج فودة .

وإذا لم يكن الشاهد الأول فهو الحاجب الذى سيعاون القاتل على الهروب بفتح باب القفص أثناء المرافعة .

يحاول د. عزيز وفريق من شيوخ الأزهر أن يقدموا أنفسهم باعتبارهم رجال الدين المستنيرين ، وأنهم يختلفون عن أصحاب الوجه المتجهم واليد الثقيلة واللفظة الغليظة والعين الحمراء والرصاصة الملتهبة ممن يطلق عليهم الحكومة والعلمانيون – ظلماً وعدواناً – تعبير المتطرفين .

د. عزيز وفريقه من ندوة العلماء ينافسون د. محمد على محجوب وزير الأوقاف فى طيبة الابتسام وسعة الصدر وحسن الكلام ويتجاوزون مؤسسة الأزهر فى التواجد على الساحة والالحاح فى الانتشار ويلمحون للتليفزيون برضاهم وصورهم وأسمائهم وكتبهم ويغازلون السلطة كى يجلسوا فى منصة ممثلى الإسلام ومندوبى الشريعة وعلى مقاعد المراقبين فى قضايا الأمة الإسلامية .

لكن د. عزيز فى سعيه الحثيث يعيد لنا بنجاح ساحق مستدعياً من قلب التاريخ وكبد العصور .. لجنة تذكرنا بلجان التفتيش فى القرون الوسطى ، وأيضاً بمجموعة الشيوخ الذين كانوا يجلسون حول أمراء

المؤمنين « الأمين والمأمون » ويحاكمون ويمتحنون الفقهاء في « محنة القرآن » هل القرآن مخلوق أو أزلي ثم يطلقون أحكامهم وعلى أثرها يدخل أحد الفقهاء السجن ويموت آخر من التعذيب أو يخوزق رجل ثالث ويبرئ آخرين .

وما أشبه الليلة بالبارحة .

وما أشبه أمس بأول أمس .

فهذه اللجنة التي أطلقت على نفسها « ندوة العلماء » ونحن حتى الآن لانعرف عن كيفية إنشائها أو تكوينها سوى أنها بموافقة شخصية من وزير الداخلية (.... شكراً) ولكن د. عزيز - في كل مرة - يصر على أنهم يعيدون للأزهر نشاطه وسابق عهده .

د. عزيز ولجنة ندوة العلماء والتي سبق وأفتت بأن فودة مارق ومرتد قبل خمسة أيام من مقتله لأنهم مستنيرون وطيبون وعلماء وأزهريون فقد قرروا أن يقدموا للناس حيثيات مقتل الرجل في كتاب تحت عنوان « من قتل فرج فودة ؟ »

والحقيقة أن هذا الكتاب ليس إجابة عن قتل فرج فودة بقدر ماهو إجابة عن قتل أي شخص سيفتح فمه بعد ذلك ومن المؤكد أن حاملي الأسلحة من شباب التطرف الأعمى سيحملون في يدهم اليسرى أو في جيبستراتهم الشمال كتاب د. عزيز باعتباره نص فتوى قتل أي شخص يتجرأ بفتح بنت أو حفيدة شفة ضد التطرف أو المناقشة حول

فكرهم للإسلام أو أى حاجة فى أى حتة فى أى موضوع فى أى كلام فى أي ناحية .. وتفتتح ندوة العلماء كتابها الأسود بالافتراء والنفاق الأول حين يعلنون أنهم يدينون الاغتيال (بأمارة إيه) ولكن « كنا نتمنى أن تكون الدولة هى التى تتولى محاكمته وأن تدينه باعتباره من عتاة المتطرفين وتقيم عليه الحكم الشرعي الذى تستحقه .

هل رأيتم الحكمة والموعظة الحسنة ؟

إنهم يرفضون الاغتيال ولكنهم يفضلون الاغتيال عن طريق محاكمة الدولة لفرج فودة وإدانته « يضعون الحكم قبل المحاكمة » ثم تقيم عليه الحكم الشرعى والذى هو بعد التعزير القتل .

لكنهم – لاتنسوا – يدينون الاغتيال .

أما النفاق فهو نفاق تطوعى لم يطلبه أحد « ولايمانع أحد فيه قطعاً » فهم يقولون فى كتابهم « إن هذا الكلام لايديننا بقدر مايؤكد عودة الأزهر إلى سابق عهده وخروجه من القمقم الذى طوال سنوات الإرهاب الحكومى الذى يحكم مصر منذ قيام الثورة .. وحتى عودة الحرية التى غابت شمسها عن مصر حتى فى عهد – الرئيس مبارك حفظه الله » .

وإذا كان د. عزيز حفظه الله – ورجال الأزهر لايعرفون أداء دورهم ولاالقيام بمسئوليتهم تحت ظل الإرهاب الحكومى – لحكام لم يحفظهم الله !! فهل هذا دليل جبن وخنوع « وشغل أكل عيش » أم أنه

دليل على شئ آخــر إنه لم يكن هناك إرهاب حكومى وأن آراء الأزهر كانت مؤيدة ومناصرة دون أن يضربه أحد على يديه .

وفى سياق الكتاب كله نرى د. عزيز غاضباً جداً من أن فرج فودة يناقش ويهاجم علماء الدين الأفاضل ، والرجل حزين للغاية لأن فودة يخـاطب شـيخ الأزهر بما لايليق رغم أنه رمــز الإســلام وهذا الكلام الخطير يحمل مبررات للفزع ، فمن قال إن شيخ الأزهر رمز الإسلام ، هو رمز للأزهر وليس للإسلام كما أننا نفهم أن رمز أى مجموعة أو فكرة أو مـجتـمع ، هـو من يخـتـاره النـاس وليس مـايخـتـاره فـرد أو شـخص ، فنحن لم ننتخب شيخ الأزهر مثلاً كى نعتبره رمزنا ، وماذا لو لم يعجب فـقيـهاً أو شـيخـاً أو حـتى مواطناً موقف لشيخ الأزهـر ؟ هل – هنا – نصبح مارقين على الإسلام مرتدين عن ديننا ، متهكمين على رمزنا ؟

ثم إن د. عزيز غاضب ليس فقط لأن فودة – وغيره – يناقشـون أو يهـاجمون رجـال الدين بل لأن أحداً لايستطيع أن « يخـاطب السـيد رئيس الجمهورية أو إحدى القيادات الدينية المسيحيـة أو أن يتعرض له بالنقد اللاذع بهذا الأسلوب الساخر » .

ولاأعـرف مـاذا يريد بنا بالضـبط د. عـزيز هـل لابد أن نهـاجم رئيس الجمهورية كى نستطيع بعدها أن نهاجم د. عزيز مثلاً ، ثم من قال له إن الأنباشنودة نفسه لم يتعرض لانتقادات فظيعة وهجوم مدو فى بعض الأحيان ، ثم من هو المعصوم بن المعصوم الذى يجلس فوق

النقد ، ثم أريد أن أسأل د. عزيز وهل يليق به إذن – والحال كذلك – أن يهاجم مفتي الديار المصرية ويتهمه هكذا بأنه أباح الربا الذى تتضمنه شهادات الاستثمار وتصف فرج فودة بأنه « الأنبا فرج فودة » .

وإذا كنت يادكتور عزيز من أنصار النقاء في الحوار فكيف تسمح لنفسك أن تنشر في كتابك رأياً تسانده وتؤيده بفرح شديد فى سطورك ، وهو رأى د. عبد الصبور شاهين الذى يقول فيه عن العلمانيين « وأنا آسف جداً لوجود مثل هذه الفئة المقززة التى تنطق باسم العلمانية فهي فئة بلاجذور ، وبلافكر ، وبلالون ، وإن كان لها رائحة فهي رائحة نتنة » .

لكنها فرصة ، على العموم أن نسأل د. عبد الصبور شاهين عن رائحة دولارات وجنيهات الريان ، وقد كان عضواً بمجلس إدارة شركته .

ويعتب د. عزيز – وندوته – على أن فودة قد تصدى لفتوى وللاجتهاد مع أنه « ليس من المتخصصين في الدين ، وليس له الحق فى الخوض في دقائق هذا الدين ، والغوص مع كبار العلماء المتخصصين فى بحاره العميقة .. من قال إن كل قضايا الدين يمكن لكل مسلم – ولو كان مهندساً زراعياً كفرج فودة أن يخوض فى دقائقها وتفاصيلها » .

ونحن لانفهم سر كل هذا الغضب من دكتور عزيز على مهندس زراعى عكف على كتب الدين والفقه والسيرة والتاريخ ، وكانت قضية عمره بين صفحات الكتب ، ثم أنه لم يفت ولم ينشر اجتهاداً إنه فقط

ناقش وجادل وفكر وحاور ، ثم أليس المهندس الزراعى فرج فودة أفضل كثيراً من السباكين الذى تحولوا إلى أمراء جهاد ، ومدرسى الابتدائى الذين صاروا قادة تنظيمات ، وصاروا يوزعون الفتاوى باليمين والأسلحة بالشمال ، ثم هل تريد يادكتور عزيز احتكار الكلام فى الدين على خريجى الأزهر وأساتذته « لانقول علماءه » طيب هل تسمح وتفسر لى لماذا يتصدى د. ياسين رشدى للتفسير والكلام فى الدين ، وهو مجرد بحار قديم .

ثم هل تملك تفسيراً لأن أشهر خريجى الأزهر وأساتذته فى العشرين عاماً الأخيرة لم يكن سوى د. عمر عبد الرحمن زعيم المتطرفين .. والوالد الروحى للعنف الدينى فى مصر .. وصاحب فتاوى الاستيلاء على أسلحة الشرطة ومحلات ذهب المسيحيين ؟!

ثم إن فتاوى واجتهاد علماء الأزهر أنفسهم لايعجبونك يادكتور عزيز .. أليس د. محمد سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية رجلاً أزهرياً يتعرض كل يوم للهجوم ، ثم إن هناك ٢٥ لجنة فتوى تابعة للأزهر الشريف ، ولاتملأ عين آلاف المنتمين للتيار المتطرف .

ثم نرى د. عزيز مدافعاً مغواراً عن المتطرفين على طريقة دفاع أب عن شغب ابنه فى المدرسة ، فيقول مثلاً عن فرج فودة : « وقد ملأ قلوب المتدينين كرهاً له وتبرءاً منه بسبب ماقاله عنهم واتهامهم لبعضهم بالانحراف الجنسى » .

. من هم المتدينون الذين اتهمهم فرج فودة بالانحراف ؟!

ثم يضيف عزيز « مثل قوله إن المتدينين حرموا حشو الكوسة » .

إن فرج فودة قال فى مقاله فى الملحق بنفس كتاب د. عزيز : « حرمت الجماعات أكل الكوسة » .

أى أنه كان يتحدث عن المتطرفين لا عن المتدينين .

ثم يضيف د. عزيز « وتشبيه بعض الإسلاميين له بكعب بن الأشرف » .

وغنى عن البيان والفضح أن أحداً لم يشبه فودة بكعب بن الأشرف سوى تنظيم الجماعة الإسلامية وقتلته فى بيان لهم تحت عنوان « نعم قتلنا فرج فودة » .

إذن د. عزيز يغازل المتطرفين ويطلق عليهم حيناً لفظ المتدينين ، وأحياناً الإسلاميين وعندما يقسو عليهم ويشد أذنهم يقول إنهم أنصار الغلو فى الدين .

وفى حديثه الذى لاينقطع عن التيار الذى يدعى د. عزيز أنه يمثله يقول : « د. فرج فودة كان لايفرق بين التيار الإسلامى المتشدد والتيار الإسلامى المعتدل ، فكلهم عنده سواء ، وكل من يتحدث فى الدين ويؤمن بأن الإسلام دين ودولة ، ويدعو لذلك أو يجيب عن سؤال يؤكد فيه هذا الكلام سيؤدى إلى هذه الفتنة » .

وأخشى أن يكون د. عزيز مقتنعاً بينه وبين نفسه بأنه معتدل .. وإلا بماذا يفسر لنا إيمانه الشديد بكلام د. أحمد عمر هاشم (الإسلام لايمنع من التعامل مع غير المسلمين ، ولكن يمنع المودة القلبية والموالاة لأن المودة القلبية لاتكون إلا بين المسلم وأخيه المسلم » .

وكيف يكون د. عزيز معتدلاً وهو يملأ الكتاب هجوماً تحتياً وعلنياً على المسيحيين في مصر .

ثم أخيراً كيف يرى د. عزيز وندوة علمائه هذه التطرف إذا لم يكن الاعتماد الكامل الواضح الآمن المستقر على فتاوى ابن تيمية فى تكفير فرج فودة بصريح العبارة وحدة المعنى « كافر .. خارج من الملة » .. وبالخط العريض يقولون : « لانوافق على قتل منتسب إلي الإسلام بغير استتابة وحكم من القضاء » .

وهكذا صار فرج فودة منتسباً للإسلام وهكذا كان مطلوباً من الدولة أن تصدر هى بنفسها حكم القضاء عليه .

وإذا كان فرج فودة هو كل ذلك (وهو ليس ذلك بالمرة ، فما رأى د. عزيز فى الشيخ الذهبى الذى قتله المتطرفون وهو الأزهرى الذى لم يردد كلمة العلمانية فى حياته مرتين على بعض .

وارحموا عزيز قوم أفتى .



فتاوى ابن تيمية
لاغتيال المفكرين

« قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بماعملتم »

٧ التغابن

لم تعد أركان الإسلام خمسة .. صارت خمسمائة .. ليس مطلوباً أن تشهد بألا إله إلا الله .

وليس كافياً أن تصلى وتصوم وتحج .. إن استطعت .. كى تصير مسلماً .

لابد أولاً أن تقتل العلمانيين فان لم تستطع فتكفرهم وهذ أضعف الإيمان .

وأن تشمت فى قتل - فرج فودة .. وتحل دم د. فؤاد زكريا .. ود. أحمد صبحى منصور .. وأن تلعن عادل إمام .. وتسب نجيب محفوظ .. وتعتقد أن شمس البارودى أقوى من رابعة العدوية .. وأن تكسر التليفزيون ويستحسن أن تحرقه .

بل ولم يعد كافياً - كى تصبح من طائفة المسلمين - أن تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة الدولة الإسلامية وتصرخ .. إسلامية إسلامية .

فالدكتور محمد عمارة فعل ذلك ولم يرضوا عنه .

بل وفعل أكثر من ذلك حين ندد بفرج فودة وفكره وصفق له آلاف الملتحين والمنقبات .

ومع ذلك يتعبرونه محارباً للإسلام .. هكذا .

بل إن فهمى هويدى الذى يرفع آذان تطبيق الشريعة الإسلامية

ويطالب – بمجمل مطالبهم – ويدافع عنهم فى أغلب مايكتب ويتحدث أحياناً باسمهم هو عندهم مجرد علمانى .

تخيلوا .. بل كبير العلمانيين .

المعروف طبعاً – أن العلمانيين يقتلون على الرصيف فى مدينة نصر .

منشورات بملايين النسخ وزعها المتطرفون .

بيانات ونشرات تملأ أرجاء البلاد بأفكارهم وآرائهم وفتاواهم .

وكتبهم تصدر وتنشر وتوزع على مرأى من الناس جميعاً .

وتصلنا .

أما كتبهم السرية فهى التى تصلينا نار العذاب .

ومن هذه الكتب السرية الأخيرة التى تعتبر واحدة من أهم مراجع ومصادر التطرف والعنف الإسلامى فى مصر .. كان هذا الكتاب .

عودة إلى الإسلام من جديد .. هذا هو عنوانه .

أما مؤلفه فهو أبو مصعب محمد الغريب .. ويبدو أنه اسم مستعار أو حركى لكن من الواضح أنه شخص اندمج حيناً فى الحياة الثقافية ثم استدار إلى العنف الدينى فصار أحد منظريه وفلاسفته ، وكانت المحصلة هذا الكتاب الذى يقع فى ٣٠٢ صفحة من القطع المتوسط .

ويتجه الكتاب بقوة من مجرد شرح الأفكار التى تستند عليها تحركاتهم وآراؤهم وتنظيماتهم إلى تفنيد الآراء المعارضة لهم والمنتقدة لأفكارهم .. ويغوص – دونما أية محاولة للرحمة – فى سلسلة اتهامات حادة قاسية واضحة للمجتمع ولايتورع عن اتهامه بالكفر والمعصية وغير ذلك مما تعودناه .. لكن أهم مايمكن التوقف عنده :

أنه – ولأول مرة – يقدم رؤيته كاملة ضد كل المفكرين الإسلاميين ويراهم – هكذا – رسمياً « المتسلطون على الدين ، شياطين العصر الحديث » .. ويراهم « من يسمون بطائفة المفكرين الإسلاميين وهؤلاء أكثرهم لعب دوراً خطيراً بعمد وبغير عمد كان سبباً فى هدم العقائد الإسلامية بما ليس له مثيل » .. ويضيف فى موقع آخر « سنجد أن هؤلاء صنعوا بدقة أو كيفتهم أهواؤهم ليفلسفوا الباطل وليجعلوا الحق أبتر اليد ، ولذا فإنهم يبرزون أن أهم مزايا الدين هى السلبية والضرب على القفا » .. « ص ١٧٣ – ١٧٤ » .

ويعدد فى فصل طويل يمتد لأكثر من ١٣٥ صفحة أسماء هؤلاء المفكرين ليصل عددهم لـ ٢١ شخصية ، تبدأ من رفاعة الطهطاوى إلى أحمد عبد المعطى حجازى .. لكن – وتبدو الملاحظة الأخيرة – أن من بين هذه الأسماء كان فرج فودة وأن ماوجه إليه من اتهامات لاتقل كثيراً عن غيره ، أما هو فقتل .. فما مصير الأسماء الأخرى « مع استبعاد الموتى من أمثال الطهطاوى وسعد زغلول ومحمد عبده وطه حسين والحكيم »

لكن كل الأسماء التى ذكرها (الكتاب - الكارثة) ليست غريبة على قوائم اتهاماتهم وطعناتهم .. لكن تبرز أسماء أخرى تمثل مفاجأة لنا - وربما لأصحابها ؟

وبدأوا بفهمى هويدى !

منذ اللحظة الأولى فى الكتاب تكتشف أن همه الأساسى .. سحب الثقة وحل الدم وإهدار فكر كل من يخالف هذا الفهم الغليظ للإسلام ، فها هو هجوم ساحق بلا هوادة على الشيخ محمد الغزالى بل ويراه محققاً لحديث الرسول « صلى الله عليه وسلم » الذى يحذر فيه أبا حذيفة من (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) فقال حذيفة : صفهم لنا يارسول الله فقال « صلى الله عليه وسلم » (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) .. ويضيف الكتاب « لاشئ الآن أصبح حراماً فهاهو الشيخ الغزالى يتبنى قضايا انتقاد الحجاب وتحليل الموسيقى والغناء حتى العاطفى والغربى .. والاختلاط بين الجنسين وعمل المرأة .. ويتهكمون طبعاً على قوله : إنه يسمع أم كلثوم وفيروز .. ويرون أنه قد سب بأقذع وأقبح سب النقاب وهو زى نساء رسول الله كما أنه سب كتاباً من أهم كتب الاعتقاد عند الأمة .. وإلى غيره من الاتهامات وكذلك من المتهمين .

فهناك شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق ويستندون إلى فتوى د. موسى شاهين بكفر الثلاثة الذين أصدروا قانون الأحوال الشخصية وهم عبد الرحمن بيصار وعبد المنعم النمر .. وجاد الحق .

وطبعاً د. محمد سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية .. حين يفتى فى البنوك والربا يكذب على الله .

ووراءه كثيرون .

وكلهم يقعون تحت فتوى الإمام ابن تيمية – التى يلح الكتاب عليها – (ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتداً كافراً يستحق العقوبة فى الدنيا والآخرة) .. « ص ٤٩ » .

وعند ابن تيمية الخبر اليقين والفتاوى الجاهزة التى يحتاجها المتطرفون دون أى لجوء إلى فتاوى « تفصيل » .

وهاهى الواقعة الفتوى التى استندوا إليها فى حل دم فرج فودة « وغيره .. ممن يريدون » ، واقعة قتل كعب بن الأشرف ، وهو الذى كان يقول شعراً فى سب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال الرسول : (من لكعب بن الأشرف فانه قد أذى الله ورسوله) ورغم أن كعب لم يكن سوى زعيم من زعماء اليهود إلا أن الفتوى تمتد وتتمدد مع ابن تيمية وأنصاره إلى جعل الرسول « صلى الله عليه وسلم » أذى الله ورسوله علة وسبباً ويوجب قتل كل من من أذى الله ، أو رسوله سواء كان مسلماً ، أو ذمياً ، إن كان بشعر أو نثر قليل أو كثير ، فمطلق الأذى لله وللرسول « صلى الله عليه وسلم » يوجب حل دم الشخص « قتله » !! .. ص ٩٣ – بالنص الحرفى – وبعد كل هذه المماحكات للقتل ولهدر الدم ، لم يتبق

سوى تقديم أسماء المخالفين والمعارضين بشعر أو نثر قليل .. وقال الكتاب وحكي عن الـ ٢١ شخصاً .. لكن مرة أخرى نعود إلى الثلاثة المفاجأة - أو التى لم تعد كذلك - فهمى هويدى وعمارة وخالد محمد خالد .

فى السكة وحين هاجم الكتاب المفتى سيد طنطاوى تعرضوا لفهمى هويدى لما قال طنطاوى ذلك خرج عليه أحد العلمانيين وهو فهمى هويدى - الذى سنعرف دوره بعد ذلك إن شاء الله .. وقال إننى أؤيد فضيلة المفتى فيما ذهب إليه من منع دخول الجامعة بالنقاب وإنكاره على التشدد فى الدين ، إلا أننى أقول إنه كان يجب على فضيلة المفتى أن ينكر على الغلو فى التبرج كما أنكر على الغلو فى الحجاب .

ثم يعود أبو مصعب مؤلف الكتاب ليقول « نجد لوناً جديداً يلعب على وترين معاً ويدور على محورين فى وقت واحد .. يرفع راية السلفية والعودة إلى الأصالة الدينية ولكنه ينادى بالتحررية الدينية والاجتهادات العلمانية ومن أهمهم شيخ العلمانيين عندى بحق وهو فهمى هويدى .

والاتهامات الموجهة إلى هويدى العلمانى هى :

- كتب يقول : « إن أولئك المتطرفين يزعمون أن علماء اليهود والنصارى الذين اكتشفوا لنا الكهرباء والمخترعات الحديثة لن يدخلوا الجنة لأنهم لم يقولوا كلمة التوحيد رغم ماقدموه من خير للبشرية » .

وهكذا ألغى ضوابط الشريعة وتهكم عليها ببساطة .

– كتب أيضاً قائلاً : « إن شروط عقد الذمة التي وضعها علماء السلف فى كتبهم والتى تقضى بمعاملة اليهود والنصارى بصورة معينة كانت نتيجة ظروف تاريخية معينة وهى الحروب الصليبية وليس نتيجة أدلة شرعية » .

– دعا فى جريدة الأهرام إلى عقد ميثاق للوحدة الوطنية بين المسلمين والنصارى يقوم على أساس الوحدة الوطنية ويضع الدين جانباً .

– انتقد الداعين إلى تطبيق الشريعة الإسلامية .

– يبدى نفسه دائماً بمظهر الفقيه الكبير الذى يترفع عن الخوض فى المسائل الفقهية التى يعتبرها دلالة على التخلف .

– يتهكم على الانشغال بتعليم التوحيد وتعلمه ويعتبر أن هذه قضية بعيدة عن مهمات العصر فيقول :

(وعندما وصل مبشروهم ودعاتهم (أى المتهمين بالدعوة للتوحيد والعقيدة الصحيحة) إلى المجاهدين الأفغان فان غاية ماشغلوا به هو ماأسموه بتثبيت عقيدة التوحيد ولم يكن الجهاد ولاشحذ عزائم الناس لتحرير أرضهم المحتلة هو شاغلهم الأول ، وإنما كان ذلك الشاغل هو تحرير نفوسهم من الشرك) !

– ومن تخاليطه في هذا الشأن ماكتبه تحت عنوان .. « دعوة من الله » قائلاً : [فى قضية الحلال والحرام باب آخر كثيراً مايستخدم لتعذيب البشر ، ففي مناخ التشدد والغلو أصبحت كلمة الحرام عنواناً شائعاً تدرج تحته أمور بغير حصر بعضها يتصل بالعادات (الملبس والمأكل) وبعضها يتصل بالفنون – وشأنها معروف – وبعضها يتعلق بالعلاقات الاجتماعية مثل الاختلاط وغير ذلك ، والبعض الآخر امتد إلى التعامل مع الأجهزة الحديثة كالتليفزيون .. والكلام يطول فى عرض قائمة المحرمات وقد يطول فى مناقشة القضية] .. وهكذا مضى يقعد قواعد الحلال والحرام على حسب فهمه ومبدئه فى ذلك أن الأمة تواجه قضايا ضخمة فلا مدعاة للانشغال بالقضايا الجانبية [قضايا الحلال والحرام] للتفرغ لمواجهة الخطر الأكبر !

– ومن هذا المنطلق نجد دفاعه عن الصليبى الحقود « نزار قبانى » ... [إنما النقطة التي أرجو أن أثبتها تتمثل فى أمرين أولهما حق الكاتب أو الشاعر وحريته فى الإبداع وثانيهما احتمال شططه وإحسان الظن به وهكذا تجده اعتبر الانشغال بالعقيدة أمراً لايتناسب مع مشاكل الوضع الراهن وكرر مارددنا عليه من قبل من أن الشعراء والأدباء من حقهم أن يقولوا مايقولون وعلينا أن نحسن الظن بهم ولو أعلنوا الكفر البواح .

– أبدى هويدى على صفحات جريدة الأهرام رفضه التام لأى

شخص ينقد الديانة النصرانية أو يدعو النصارى إلى الإسلام بحجة أن هذا مفسدة أعظم .. ومن هنا فان هويدى يحتج بالقدر على عدم نشر الحق ، تماماً كما احتج الكفار فى الماضى بالقدر كما حكى تعالى عنهم « سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرَّمنا من شئ » ولأجل هذا نبه العلماء على أننا نؤمن بالقدر ولانحتج به .

– على أن أخطر مايتسم به هويدى هو أنه يتبنى كثيراً من القضايا الإسلامية ويعلن رفضه للعلمانية وفرحه بالصحوة الإسلامية وهذا كثير فى كتاباته ولكنه كلما أتى ليقدم الحل الإسلامى البديل نادى بالتقدمية الإسلامية التى يفسرها بأنها التحلل من قيود الماضى لمسايرة العصر .

إلا أننى أشير إلى مناهج الالتواء التى تبحث عن هوية جديدة ولكن تحت مسمى إسلامى وهذا باختصار هو دور فهمى هويدى .

إذن ماذنب د. محمد عمارة .

يمضى الكتاب :

« وإذا كان هويدى يعلن عن رفضه للعلمانية ثم يقدم إسلاماً علمانياً ، ففى نفس تياره يسبح محمد عمارة – الحائز أيضاً على لقب « المفكر الإسلامى » وله كتاب « العلمانية ونهضتنا الحديثة » وهو كتاب عجيب فيه من الخلط مافيه .. وكمثال بسيط من الكتاب نجده يثبت أن

حقبة عبد الناصر كانت حقبة إسلامية لاعلمانية وأن عبد الناصر كان متبنياً للإسلام كمنهج وهذا الإثبات يثبته لابوقائع وإنما بخطب عبد الناصر .. وهكذا تجد اللبس والتهافت فى الاستدلال وكمزيد من الخلط والتشويه يتحدث عن ثورة ١٩١٩ فيقول : [إن العلمانية بما تعنيه من عزل الدين عن شئون الدولة والمجتمع لم تكن الأساس الذى قام عليه المد القومى الذى فجرته والذى فجر ثورة سنة ١٩١٩ فشعار هذا المد قد كان (وحدة الهلال مع الصليب] .. وهكذا قدم لنا « القومية » كمرادف للإسلامية واعتبرهما بديلاً للعلمانية .

ولازلنا عند محاكمة مفكرى الحركة الإسلامية المحسوبين عليهم والمنادين لهم والواقفين حياتهم على الدفاع عنهم والجلوس فى المنصات لمواجهة خصومهم وأعدائهم كما يتصورون .

يقول الكتاب :

– وإذا كان هذا هو موقف محمد عمارة على نفس خط التلبيس فان المفكر الإسلامى الكبير أيضاً خالد محمد خالد يمشى على نفس النمط ويوائم فى كتاباته بين الإسلام والاشتراكية تارة وبين الإسلام والمسيحية تارة حتى أن من راجع كتابه « محمد والمسيح » يجده يعترف ضمنياً بالوهية المسيح من خلال أسلوب أدبى ملتو وتارة يوائم بين الإسلام والليبرالية وجعل شعاره المفضل الذى يكتب تحته فى جريدة الوفد « لله الحرية » وكأنها لله وحدها ولاتكفى أو لاتصلح .. وفى إيماء

إلى نقص الشريعة فى جوانب كمن قال نحن نريد دولة إسلامية ديمقراطية أو إسلامية اشتراكية وكأن الإسلام يحتاج إلى التطعيم ببعض العناصر الأخرى .

وهؤلاء الثلاثة (هويدى وعمارة وخالد) مثال لتيار متقارب فى فكرة رفع شعار الإسلام ثم وضع منهج غير إسلامى .

ماذا تنتظر منا الآن ؟

هاهم المفكرون والكتاب الذين يوصفون بالإسلاميين لايعجبون الإسلاميين !

ونسأل أى الإسلاميين نقصد ؟!

إنهم حتى لايختلفون مع هويدى وغيره بل يتهمونهم اتهامات تبدأ بالتسلط على الشرع وشياطين العصر الحديث وتنتهى إلى إدخالهم تحت طائلة فتوى ابن تيمية .. وهم يرونهم أشد ضرراً وإهلاكاً من المفكرين الآخرين الذى أفاضوا فى صفحات الكتاب اتهاماً طعناً فيهم .

إنهم يختلفون ويخالفون ويتهمون الشيوخ والمفتى والأزهر والكتاب الإسلاميين .. ويتهمون العلمانيين .. ويسفكون دم المختلفين معهم .

وفى النهاية .. هل هناك نهاية ؟ .

هل فى الأمر أمل فى حوار ؟ .

إطلاقاً .. إنهم لايطيقون الحوار ولا النقاش ولا الجدل ويرفضون

ويفتون ولا يسمحون بخلاف فى الرأى واختلاف فى المنهج .

فالحقيقة عندهم .. والشريعة ملكهم .. والإسلام حكر عليهم .. أما نحن .. فلنا الله .

ونحن لانهدى من أحببنا ولاحتى من كرهنا .

لكن الله – وحده – يهدى .



هل يتحجب الأدباء

« لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى »

الكهف ١٠٩

هذه السطور القادمة دعوة للانحلال والفجور .. دعوة لأن ترمى المحجبات أغطية رؤوسهن على الأرض .. وأن تخلع النساء ملابسهن فى الشوارع .. وأن يحتسى الرجال الخمر على قارعة الطريق .. وأن يصرخ الشباب فى الأتوبيسات ... يرفضون الدين ويتخلون عنه ويسخرون منه .

هذه السطور القادمة دعوة للإباحية .. هكذا ببساطة .. وبلا وجع قلب !

هذا مايريد أن يذيعه عنا المتطرفون .. هذا مايسعى إليه أصحاب عمى الألوان من المتعصبين الجهال .. ومايصفنا به أعداء التنوير ومشوهو الأفكار وقاطعو الأرحام .. ماينعتون به كتاباتنا قهراً لمناقشتها ومنعاً لفهمها ورمياً بماء النار عليها حتى لاتجد صداها لدى الناس .

إنهم لايريدون أن يشغل أحد عقله وبينما يسودون عيشتنا ، يبثون رادار التشويش حتى لايلتقط المواطن إرسالنا نقياً وصافياً وعاقلاً .

والتشويش أدواته كثيرة .. وأجهزته أكثر .

وهاهى شرائط الكاسيت والفيديو والخطب والكتب تكشف .. وتفضح !

بدأها بالفتنة الطائفية .. مرة واحدة وببساطة وبهدوء اتهم أديبين بأنهم من « المبشرين » .

والتبشير تهمة يومية تلقى على رقبة أى مسيحى بارز فى مجال ما ، بمصر بدءاً من بطرس غالى وانتهاء بچورج سيدهم .

وكنا فى المدرسة الثانوية نتلقى دروس التاريخ على يد مسيحى متمكن تماماً من مادته .

وكنا نحبه .. فلما غضب أعضاء الجماعات الإسلامية من حبنا له قالوا إنه مبشر .

ويبدو أن كتب المتطرفين لاتتجاوز كثيراً عقول الثانوى .

والدليل كتاب صدر ضمن « سلسلة المذاهب والأفكار الهدامة » التى تصدرها إحدى دور النشر الصغيرة التابعة للفكر المتطرف ، والمؤلف هو محمد القدوسى .

ويبقى أن عنوان الكتاب « الحداثة فى الشعر المعاصر » وهكذا نعرف بداية أن الحداثة من الأفكار الهدامة .

أما الحداثة فـ ٩٥٪ من أبناء مصر الطيبة لايعرفونها ولكنها على العموم مذهب أدبى « لاراح ولاجاء » لكن المتطرفين يصطادون دائماً فى أقرب بركة للماء العكر .

فلا يصح أن يهاجموا العلمانيون ويقتلوا المفكرين ويحرموا ويجرموا الفن ويجعلوا من حجاب المرأة هدفاً لحياتهم ومبتغى آمالهم ، ويدفعون للبعض الملايين من أجل حجاب وصورة على غلاف مجلة .. لايصح أن يفعلوا ذلك كله دون أن يتكلموا عن الأدب .

والكلام عن الأدب مفيد فى كل الأحوال .

أولاً : كى يظهروا لنا أنهم يفهمون فى الأدب « وهو مانشك فيه تماماً » .

ثانياً : لكى يطمسوا وجوه الأدباء ويلوثوها فلا يستطيع أحد أن يثق فيهم أو يصدقهم أو يمشى وراءهم بعد سلسلة التهديم والتحطيم والتكفير الذى يقوم به المتطرفون نحوهم .

وأكثر مايغيظ المتطرفين أن يستطيع الأدباء الوصول للناس بفنهم وأفكارهم وأن يظل الأدباء ضمير الأمة المستيقظ والمتيقظ الذى يمكنه أن يغير ويبدل ويضيف .

ثالثاً : لأنه إذا حطموا الأدباء الحقيقيين أو أدباء الحق ، وإذا شوهوا الفن والشعر والرواية فيمكنهم أن يجلسوا على هذه العروش – الخاوية حينئذ – ويؤسسوا لفنهم وأدبهم ويلمعوا أدباءهم ورجالهم .

ولم يعدم المتطرفون أن يخرج شاعر شاب بحثاً عن دور (ولابأس إطلاقاً فى البحث عن دور ، المهم أن يكون مقتنعاً به) فيقرر أن ينظر ويقدم نفسه فيلسوفاً لهم فى هذا المجال ، لكن المشكلة أن كتابه جاء مهترئاً محشواً بالأكاذيب والافتراءات والمغالطات والتى أظن أن مؤلفها أول من يعرف حجم الخلط والمغالطة فيها ، إلا إذا كان قد توقف عن المعرفة والتفكير منذ قرر أن يلعب هذا الدور أو يمثله .

وقبل أن يتحفنا المؤلف بفتنة طائفية مشتعلة فى أول صفحات كتابه ، قرر أن يضع هو أو الناشر آية قرآنية فى صدر كتابه يغمز بها ويلمز فيمن يخالفه الرأى وفيمن يسبهم الكتاب ويكفرهم أما الآية فهى : **« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .**

صدق الله العظيم

وحسبى الله ونعم الوكيل .

فالآية نفسها تحتمل - وتتحمل - أن تكون وصفاً للمتطرفين ورميا لهم .. والحقيقة أننا على إيمان - لايتزعزع - أن « الأنعام » هم الذين يقودون أوطانهم للتهلكة وشعوبهم للخراب وجيوشهم للفتن والحروب الأهلية وهم الذين يسفكون الدماء ويحلون قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ، ويتوهمون حقاً باطلاً ويرمون الناس بالكفر وبالمواد الحارقة .. أولئك هم الأنعام بل هم أضل .

ويرى المؤلف من أول صفحة أن مذهب الحداثة مؤامرة من المبشرين (غالى شكرى .. وادوار الخراط) .. ومن البعثى محمد عفيفى مطر .

هكذا يخبط كالأعمى من اللحظة الأولى .

والحقيقة أننا لن نناقش اتهاماته للثلاثة فهى أكثر حمقاً من أن تناقش فلا أدلة فيها ولامستندات ولاوثائق ولاحجج ولكنه مجرد قذف بلا

أسانيد ، وعزف بلا ضمير على التقسيم الطائفى للأدباء وكأنهم لم يكتفوا بالفرقة التى فعلوها فى الصعيد بين المسلمين والمسيحيين وكأنهم - وقد انتزعت من قلوبهم الرحمة ومن عقولهم الفطنة - يريدون تعميق الفجوات بعد حفرها وإشعال النار بعد سكب الزيت .

ولايهم المؤلف حكاية الحداثة إطلاقاً ، إنه فقط معنى بالتشويه ويكرس كل جهده للتكفير والطعن ، فهاهو يقول : « وقد يتخيل القارئ أن المسألة إلحاد خالص وانعتاق من أى دائرة إيمانية أو اعتناق أى مذهب كان ولكن صبراً فالحق أن السهم مصوب ضد الإسلام والإسلام وحده » .

وأنا لا أعلم من الكتاب لماذا يصوب السهم ضد الإسلام وحده .. لكننا نعلم من الكتاب المتهمون بذلك وهم أبرز شعراء العرب قاطبة وعلى رأسهم صلاح عبد الصبور ومحمود درويش وأحمد عبد المعطى حجازى وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى ونزار قبانى وأمل دنقل وعفيفى مطر .

والمتهمون أمام المؤلف يفعل بهم مايشاء ، يقتطع من لحومهم ويشوى جلودهم براحته وعلى هواه ، فهو يفهم مايريد أن يفهمه ويطعن فيما يريد أن يطعن فيه ولاتعوزه الأدلة فأى دليل يمكن تحميله بأى فهم .

وإلا فما هذه التفاهة التى يكتبها حين يقول بالنص عن صلاح عبد الصبور :

« والواضح أن الشاعر لايرى عيباً فى نشأة فن المأساة عند الإغريق من بطن ديانة هى ديانة النشوة أو ديانة وثن الخمر والتهتك إن أردت الدقة » .

وأنا أسأل المؤلف - عافاه الله وشفاه - وما العيب فعلاً فى ذلك .. ومال أهل المسلمين فى هذا الموضوع أصلاً وماالضرر الذى يقع على الإسلام إذا خرجت ديانة يونانية من بطن ديانة أخرى .

ثم يفترى على صلاح عبد الصبور حين يدعى عليه الآتى : « لكنه يرى فى حفظه لبعض القرآن عيباً يوجب الاعتذار » .

وطبعاً عندما تقرأ هذه الجملة قد يصيبك الجنون كيف قال عبد الصبور ذلك ؟ وهل يليق به أن يتفوه بهذا الكلام .

وأريد أن أطمئنك تماماً فعبد الصبور لم يقل ذلك على الإطلاق وكل ماقاله حسب رواية المؤلف نفسه هى هذه الجملة : « وكنت فى ذلك الوقت قارئاً لبعض القرآن » .

هل تفهم هنا أى اعتذار أو إساءة .. ثم لنسأل المؤلف - وهو حسب مايقول عن نفسه شاعر - هل هناك شاعر عربى فى الدنيا لم يحرص على قراءة وحفظ القرآن حتى إذا لم يكن من باب التدين فمن باب اللغة العربية التى تصل فى القرآن إلى أعظم خلق لها حتى يوم القيامة .

ثم إن هناك عشرات الأدباء غير المسلمين الذين عكفوا سنين من حياتهم على قراءة القرآن لاكتمال لغتهم وتقوية بلاغتهم .

وإذا كان الأمر على هذا النحو فكيف لشاعر كبير رائد مثل صلاح عبد الصبور أن يقول ذلك إلا إذا كان المطلوب من المؤلف فقط مجرد الطعن الذى يستهدف الوصول به إلى الصاق تهمة الكفر بالشاعر فيقول عنه : « يجمع على نفسه الكفر والمغالطة فى سطر واحد » .

ثم يلتفت المؤلف إلى شاعر آخر وهو عبد الوهاب البياتى فيكيل له عشرات التهم والشتائم العلنية ويسحب عنه أى أهمية شعرية .. لكنه لا يتوقف عند ذلك فقط ، بل يؤكد أن البياتى يعبر عن كرهه العميق للإسلام فى مقابل ولائه غير المحدود لسدنة الغرب ، أما دليل المؤلف فهو بيت شعرى للبياتى يقول فيه :

« لماذا ترك الشعراء خنادقهم

ولماذا سيف الدولة ولى الأدبار »

ويقول عن هذا البيت :

« إنه الحقد المجنون ضد حاكم مسلم وقف فى وجه أطماع الروم فلابد من تلويث سيرته » .

وهذا فعلاً مجرد عبط فكرى ، فمن قال أن الشعر تاريخ ، ومن قال أن الشاعر مؤرخ ، ولماذا لا يفهم فيلسوف الغبرة هذا أن الاستدلال بسيف الدولة حث للسيوف القواطع الميتة الآن أن تنهض وتخرج من

غمدها ، ثم تعال هنا هل تريد - يا فيلسوفنا ومنظرنا - أن تضفى قداسة على سيف الدولة وتعتبره رمزاً إسلامياً المساس به أو حتى الطعن فيه كاف للاتهام أحد بأنه يكره الإسلام .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم .

ويكفى المؤلف سطر شعرى واحد للبياتى كى يعتبره متطاولاً على النبى « صلى الله عليه وسلم » - هكذا مرة واحدة - حين يقول البياتى « شق ملاك صدرى ، أخرج من قلبى حبة مسك سوداء » .

يقيم المؤلف الدنيا ويتهم الشاعر بأنه تخاذل راكعاً أمام آلهة الأولمب الحكماء ويتطاول بلا مبالاة على نبينا ، لماذا ؟

لأنه يجعل نفسه فى مقام النبى حين يقول فى الشعر أن ملاكاً شق صدره وهو أمر فعلته الملائكة مع النبي وحده ويلتفت المؤلف إلى الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش ولايرحمه منذ أول سطر من الاتهامات .. ويقول بالنص :

« ففى الوقت الذى تلهب حماس حدود الأرض المحتلة ناراً وأحجاراً على الصهيونى المحتل وهو جهاد إسلامى قلباً وقالباً نرى درويش وهو الشاعر الرسمي المنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير مجلة الكرمل الأدبية التى تصدرها المنظمة يمعن فى المعالنة بالإلحاد ويستشهد المؤلف بمقطع من قصيدة مديح الظل العالى لدوريش يقول فى نهايته :

ياخالقى فى هذه الساعات من عدم

تجل لعل لى ربا لأعبده لعل

والمغالطات هنا عفنة وغزيرة غزارة الذباب على الجثث .

فمحمود درويش كتب هذه القصيدة عام ١٩٨٢ ، أثناء الغزو الإسرائيلى لبيروت وإخراج القوات الفلسطينية من لبنان ، وفى لحظة يأس مريرة تخلى فيها العرب والمسلمون « حتى حكومات تطبيق الشريعة الإسلامية » عن لبنان والفلسطينيين وتركوهم يواجهون الموت ٧٨ يوماً بلا سند .

إذن القصيدة لها ظروفها ، ثانياً هذا مقطع ضمن قصيدة تقع بطبعة واحدة لها فى ١٢٤ صفحة ، ثم إن الإنسان يضيق أحياناً بالدنيا وبأزماتها الحالكة فيطلب من ربه أن يتجلى له ويستصرخه ويناديه ، فلانرى فى المقطع تجاوزاً يستحق الطعن ، قد يرى فيه البعض انتقاداً ما لكن هل يجوز معه اتهام شاعر فى دينه وفى علاقته مع ربه ؟

ثم إن « حماس » وهى الحركة الإسلامية الأصولية فى فلسطين لم تكن بعد قد بدأت النار والأحجار فى الأرض المحتلة ، بل لم تكن الانتفاضة قد اشتعلت أصلاً (انفجار الانتفاضة بدأ عام ١٩٨٧) ولم تكن الانتفاضة ياأستاذ انتفاضة حماس ، بل كانت انتفاضة كل أبناء هذا الشعب المناضل بكل فصائله وقواه .

ثم إن محمود درويش ظل وسيظل رمزاً وطنياً نبيلاً عند أمته وشعره – مهما تطاولت عليه أيدى الجهلة والأغبياء – ميثاق كفاح داخل

الأرض المحتلة وخارجها ويكفى أن ١٢ ألف مواطن فلسطينى وأردنى حضروا له أمسية فى عمان ليسمعوا أشعاره ويهللوا وراءه ، هذا هو درويش الذى تتهمه بالإلحاد ، وترميه بالكفر حين تقول :

« أما المحدثون فيفاخرون بالكفر يورثون للدعارة كما هو واضح في الشواهد السابقة » .

وقد قلبت الكتاب عشرات المرات وقرأته ممعناً وفاحصاً لعلى أرى تفاخراً بالكفر ورثاء للدعارة أو أرى شواهد على ذلك كما يقول المؤلف لكن لاشئ .. إلا إذا كان قد كتب شواهده بالحبر السرى تمشياً مع المخططات السرية التى يجيدها المتطرفون أو ربما أصاب نظرى الضعف والمرض الذى أصاب عقل المؤلف وضميره .

ومايؤكد هذا لضعف والمرض لدى المؤلف هو اتهامه لدرويش - بالمرة - بالخصومة الهادئة مع الصهيونية فى قصيدة له .

والذى يعرفه المؤلف ولايريد أن يقوله للناس أن درويش نفسه هو الذى طالبت المنظمات الصهيونية وعشرات اليهود فى فرنسا بمحاكمته منذ عامين لأنه نشر قصيدة تحت عنوان « عابرون فى كلام عابر » فيها هجوم حاد وقوى وشامل على الصهيونية .

لكن ماذا تقول وقد انتقل المرض وقد نهش القلوب والعقول .

والعجيب أن المؤلف لايستحى أن يستند على تقرير للجنة الشعر عام ١٩٦٤ فى مصر وينقله المؤلف عن كتاب لغالى شكرى .. التقرير

يرى أن الشعراء العرب الحداثيين يعادون فى شعرهم القومية العربية والإسلامية ، ويصف المؤلف التقرير بأنه « كان حصيفاً مدركاً لأبعاد القضية الفكرية » .

وأحب أن أقول له – ولغيره – إن القوميين والتقدميين العرب هم أول من هاجم الشاعر أدونيس – لعشرين سبباً – منها موقفه من القومية العربية (يرتدى المؤلف ثوب البطولة ويهاجمم أدونيس كأنه فتح فتحاً أو أول من نبه وحذر .. وكأنها قضية الإسلام منذ بدأ .. وقضية المؤلف منذ ولد) .

هذا أولاً ..

ثانياً : إن هذا الرأى المضاد للشعر الحر (والذى يعجب المتطرفين) كان يتزعمه عباس العقاد ، وأنا أريد فقط أن أسأل المتطرفين (ولن أنتظر إجابة) مارأيكم فى العقاد ؟ وهل نعرض لكتاباتكم التى هاجمت الرجل فى دينه وأفكاره ؟

هل نعرض ؟ ليس الآن على الأقل !!

لكن مايريد أن يصل إليه المؤلف من أن هؤلاء الشعراء ابتدعوا الحداثة لتكون مرادفاً للعقيدة والدين أو هى عقيدة بديلة .

فهذا كلام لايحاسبه عليه – سوى أطباء مستشفى الأمراض العقلية .

وسنوصيهم خيراً بالرجل .

من اصدارات دار سفنكس للطباعة والنشر

١ ـ الموساد واغتيال المشد — للكاتب الصحفي عادل حمودة

٢ ـ بطريق الخداع — تحقيق وتقديم عادل حمودة

٣ ـ النكتة السياسية كيف يسخر المصريون من حكامهم

للكاتب الصحفي عادل حمودة

٤ ـ نميرى والعوة لحكم السودان — للكاتب الصحفي محمود فوزى

٥ ـ حرب الخليج الملفات السرية

تحقيق وتقديم ومراجعة الكاتب الصحفي عادل حمودة

٦ ـ القادة واسرار صناعة القرار الامريكى لحرب الخليج

تحقيق وتقديم ومراجعة الكاتب الصحفي عادل حمودة

٧ ـ نواب الكيف — للكاتب الصحفي محمود الشربينى

٨ ـ المرجع الفنى الشامل فى الضريبة العامة على المبيعات

تأليف جمال أحمد شوارة

٩ ـ الملك أحمد فؤاد الثانى الملك الأخير وعرش مصر

للكاتب الصحفي عادل حمودة

١٠ ـ اعترافات مصطفى أمين بين عبد الناصر وهيكل والسادات

للكاتب الصحفي محمود فوزى

١١ ـ نظام شطارة — للكاتب الصحفي فاروق سالم

١٢ ـ ناريمان .. آخر ملكات مصر — للكاتب الصحفي سمير فراج

١٣ ـ ايام السادات الأخيرة كتابان فى كتاب واحد

للكاتب الصحفي عادل حمودة

١٤ ـ كنت قاضيا لحادث المنصة — لواء دكتور سمير فاضل

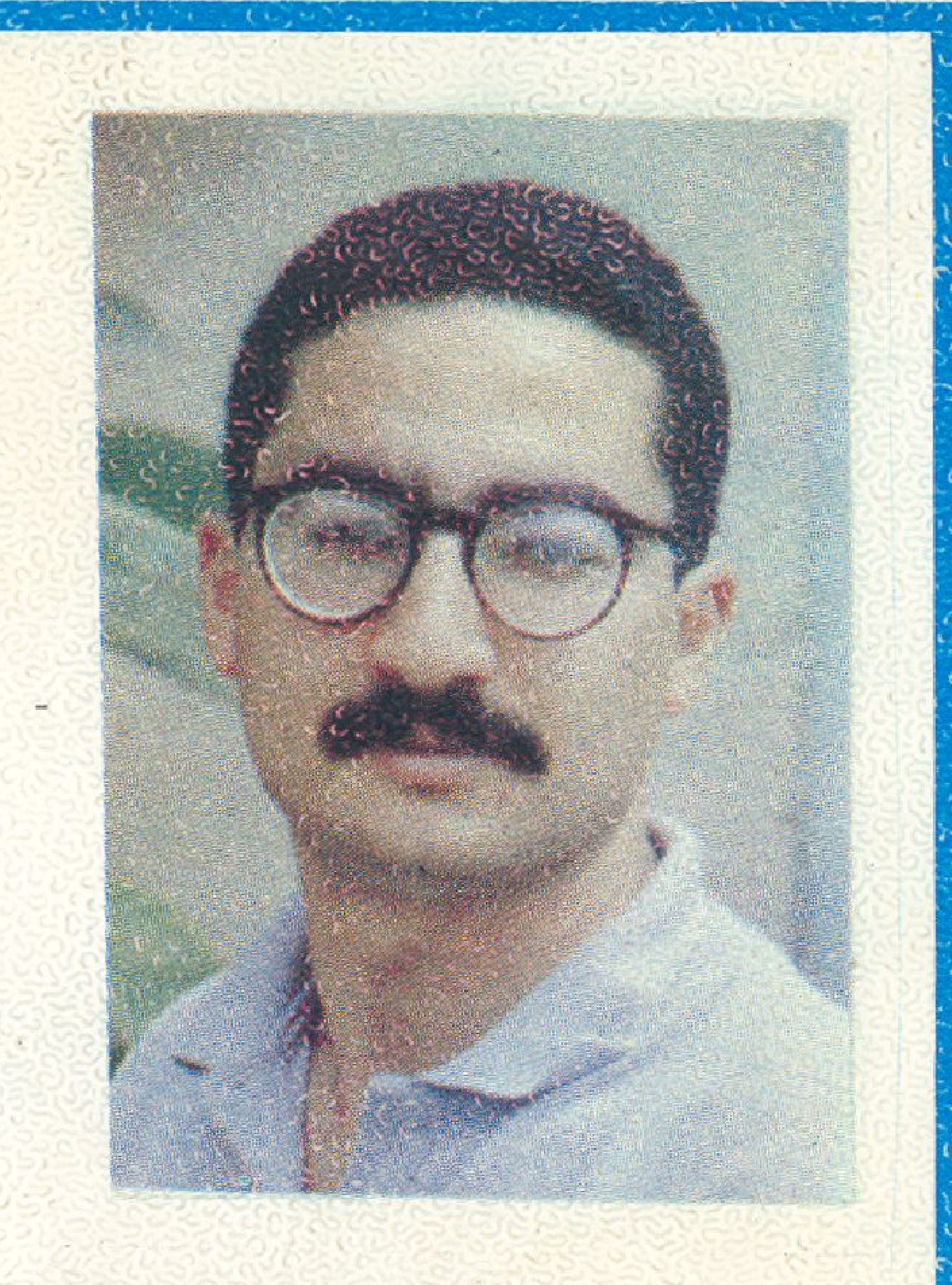
١٥ ـ اغتيال رئيس — للكاتب الصحفي عادل حمودة

١٦ ـ الفاجومى — مذكرات الشاعر احمد فؤاد نجم

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩٣/٥٩١٠

الترقيم الدولى
I.S.B.N
977 - 5/85 - / 3 -0

تم الجمع التصويرى والتصحيح اللغوى
بـ فاين لاين للطباعة والنشر والإعلان
شارع الجزائر - الشطر الثامن
عمارة ٣ / ٢ - المعادى الجديدة
ص . ب ٧٨ المعادى رقم بريدى ١١٤٣١
تليفــون : ٣٥٢٠١٥٤



هذا الكتاب

مكروه .. لكنه جائز شرعا .. مكروه لأنه يدخل مناطق محرمة ولكنه لا يخرج منها .. يغوص فى بحار مائجة وهائجة ولا يصعد كى يشم هواء ثم يعود لو أراد ..

هذا كتاب من سيكرهه .. سيلعنه ويشتمه ويقض مضجعه وقد يُلقى به من النافذة .. لكن من سيحبه .. سيسكت .. سيسكت تماما ولا يتكلم ! !

من مقدمة الكاتب





مطابع الأهرام بكورنيش النيل